الفصل الأول

المقومات الطبيعية والبشرية لازدهار أسواق فاس

أولا: المقومات الطبيعية

١- البيئة الجغرافية

٢- البيئة الزراعية

٣- الرعى والغابات

٤- وفرة المواد الخام

ثانيا: المقومات البشرية

١ ــ الوضعية السياسية للمدينة

٢ - النمو السكاني < الد يموجرافي>

٣ - ازدهار النشاط الحرفي و الصناعي

٤ - المنشآت التجارية

٥ - الطرق والمواصلات

obeikandl.com

اولا: المقومات الطبيعية

تتمثل المقومات الطبيعية لمدينة فاس فى موقعها الجغرافي المتميز وسط المغـرب الأقـصى وبيئة المدينة الزراعية ، وأخيرا النشاط التعدينى لهذه المدينة.

أ-البيئة الجغرافية :

يرجع تأسيس الدولة الإدريسية إلى عام١٧٢ هـ / ٧٩١ م على يد إدريس بن عبـدالله الـذى دخل المغرب الأقصى في شهررمضان من تلك السنة هربا من الخليفة العباسي موسى الهادى(١٦٩-١٧٠هـ/٧٨٥-٧٨٦م) بعد ان أوقع بالعلويين في موقعة فخ[١] عام (١٦٩هـ/ ٧٨٥م) فهرب إدريس وحط ورجاله فى بقعة تدعى "وليلى"[٢] قرب وادي الزيتون ، حيث اجتمعت حوله قبائل البربرخاصـة قبيلة أوربه [٣] واتخذته زعيما لها. وبعد أن توفى إدريس بن عبد الله (١٧٥هـ /٧٩٤م) خلفه علـى الملك ابنه إدريس الثاني.

---

[١]موقعة فخ: كانت يوم التروية عام ١٦٩هـ/٧٨٥م عندما خرج العلويون من مكة بزعامة الحسن بن على بن الحـسن بن الحسن ضد الخليفة العباسي موسى الهادى حيث بايع العلويون له بالخلافة في المدينة ثم سار إلى مكة ، فالتقى مـع الجيش العباسي بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهووادى في طريق مكة يبعد عنها حـوالي ثلاثـة أميـال ، فـانهزم العلويون وكان قداشترك مع الحسن عماه إدريس بن عبد الله بن الحسين ، ويحيى اللذان نجحا في الإفلات واتجه إدريس بن عبد الله إلى بلاد المغرب وفر يحيى إلى بلاد المشرق .للمزيد انظر الطبري :تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمـد أبو الفضل ، القاهرة ، جـ٨ ، دار المعارف ١٩٧٩م ، ص ١٩٣-٢٠٤ ، المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيى الدين ،جـ٣ ، ط ٤ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٦٤، ص٣٣٩ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ، راجعه محمديوسف الدقاق ، جـ٥، ط١، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٩٨٧ ، ص٢٦٨،٢٦٧ ، ابـن خلـدون: مصدرسابق ، جـ٤ ، ص ٧ ، حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتمـاعى ، جـ٢، ط١٣ ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،١٩٩١، ص ١٨٢ ، عبدالهادى التازى : التاريخ الدبلوماسى للمغرب ، مج٤، ١٩٨١،ص٨ .

[٢]وليلى: مدينة عتيقة واقعة في السفح الجنوبى لجبل زرهون ، على بعد٢٨ كلم من شمالى مكناس، ونزل بها ادريـس بن عبدالله عند اسحاق بن محمدابن عبدالحميدالأوربى ، وتوفى إدريس بها ، للمزيد أنظر الحميري :الروض المعطار ، ص ٦٠٩، ٦١٠ ، ابن القاضى : جذوة الاقتباس جـ١، ص١٩ .

[٣]أوربة : قبيلة شهيرة من البربرالبرانس ، كانت فى القديم تشتمل على بطون وعمائر كثيرة ، مثـل جايـة ونفاسـة ومزياتة وقدعظمت تلك البطون حتى صارت فى عداد القبائل . للمزيدانظرابن القاضى : مصدرسابق ، ص ٢٦ .

وطالت مدة حكم ادريس الثانى حتى وفاته فى ربيع الاول عام (٢١٣ هـ /٨٤٨ م) والذي أسس في عهده مدينة فاس[١].

ومدينة فاس مدينتان بناها إدريس الثاني ، ثاني امراء الأدارسة الأولى تعرف باسم "عدوة الأندلسيين"وبنيت يوم الخميس غرة ربيع الأول عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م والثانية أسسها عام١٩٤هـ/٨٠٩ م ، وتعرف باسم"عدوة القرويين ويشق المدينتين نهركبيريأتى من عيون "صنهاجة " وعدوة الأندلسيين مياهها قليلة بالنسبة لعدوة القرويين فالأخيرة ذات مياه كثيرة إذ يجرى الماء فى كل شارع منها.[٢]

ومع قيام دولة المرابطين أصبحت العدوتان مدينة واحدة خاصة فى عهد يوسف بن تاشفين الذى أمر عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م بهدم السور الذى كان يفصل بين عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، وربطهما بعدة قناطر وقام بإدارة الأسوار على مدينة فاس وجعله سورا واحدا وأسس القلعة داخل أسوار مدينة فاس بحى القطانين.[٣]

---

[١]وتكثر الروايات عن سبب تسمية المدينة بهذا الاسم ، فمع شروع الإمام إدريس في بناء المدينة سأل عن اسم المدينة قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم ، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه ، وكان الثغ فقال اسمي فارس ، فأسقط الراء من اسمه فقال إدريس سموها كما نطق، فقالوا فاس . للمزيد انظرابن أبى زرع: الأنيس ، ص ٤٥ . ويرى البعض أن إدريس بن إدريس عندما شرع في بناء مدينة فاس كان يعمل بيده مع الصناع بفأس من ذهب وفضة، فسميت فاس لذلك، ومع أعمال الحفر وجد فاسا كبيرا. مجهول:خطط مدينة فاس ، مخطوطة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، رقم ٦١ بلدان، وميكروفيلم رقم ٢٩٩٨٩ ،ورقة ١٠. وللمزيدانظرالجزنائى:جني زهرة الأسى ، ص٢٣ويرى البعض أنها فات PHUT وكلمة ***LUBIM*** الواردتين في التوراة ما هما إلا كلمتا فاس وليبيا للمزيد انظر:عبد الله العمراني : فاس وجامعتها ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١١-١٢ سنة١٩٦٧ ، ص١٧ . ليفي بروفنسال: تأسيس مدينة فاس ، تعريب سعيد النجار، واحمدالبابورى ، مجلة البحث العلمي ، كليةالاداب جامعة محمد الخامس العدد٣١ أكتوبر ١٩٨٠ م. ص١٥٧ .

[٢] ابن الوردي: عجائب البلدان من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب تحقيق وتعليق أنور محمد زناتي(٦٩١ هـ -٨٦١هـ/١٢٩١- ١٤٥٧ م) ص١١. ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٣٨ . الناصري:الاستقصا الجزء الأول ، ص ٢٢٣ . مجهول مخطوط رسالة في ذكر من أسس مدينة فاس، مخطوطة، دار الكتب المصرية ، ٩٧٣٢ح ، ميكروفيلم ١٩٨٨ ورقة **32**. عدوة الأندلسيين ، وهي العدوة الشرقية سميت بذلك لكثرة القبائل الوافدة عليها من جزيرة الأندلس، أما عدوة القرويين أي العدوة الغربية سميت بذلك لكثرة الوافدين من القيروان. مجهول: المخطوط السابق ، ورقة ٣٥، محمد الشطيبى المغربي الجمان في أخبار الزمان ، مخطوطة دار الكتب المصرية ، تاريخ ١٤١٦ ميكروفيلم ، ورقة ٢٠٧.

[٣] ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ٤ ، ص١٢٤، ابن خلدون: مصدرسابق ، جـ ٦ ص ١٨٥ ، ابن ابى زرع: مصدرسابق ، ص١٤١الجزنائى: مصدرسابق ص٤١،٤٢ ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمدعبد الهادى شعيرة القاهرة ، المطبعة الأميرية،١٩٥١ ص١٠٦ ، عبد القادر زمامه: معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر،السنة الخامسة يناير١٩٦٨، ص٨٨ .

وظل سور مدينة فاس قائما حتى استيلاء الموحدين على تلك المدينة ، فحين دخل عبد المؤمن بن على (٥٤٠-٥٩٩هـ /١١٤٦-١٢٠٥ م) هذه المدينة عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م أمر بهدم سور المدينة وقال "اننا لا نحتاج الى سور إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا "بالإضافة الى هدم السور قام بهدم القصبة المرابطية. [١]

واتسعت مدينة فاس مع بدايات حكم المرينيين والذين قاموا بإنشاء ثلاثة أحياء على ضفة النهر الغربية أولها المدينة البيضاء وتعرف بالجديد ، وبناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق أول من استقل بالملك بعد سقوط فاس عام (٦٤٦هـ/ ١٢٥٠ م) والثانية مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح وبناها ولده أبوسعيدعثمان بن أبى يوسف (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) وكان ذلك عام٧٢٦هـ/١٣٢٥م إلى جانب المدينة البيضاء ، والحى الثالث هو ربض النصارى. [٢] وهوالمتخذة لسكنى النصارى من الإفرنج المستخدمين بخدمة السلطان [٣] فبناء مدينة فاس الجديد، يرى البعض أنه كان بسبب الثورة التي قام بها سكان فاس العتيقة على اليهود فى٢ شوال ٦٧٤ هـ/ ١٢٧٥ م ، فكانت لها أثر واضح في اتخاذ السلطان أبى يوسف يعقوب قرار ببناء مدينة فاس الجديد في ٣ شوال من نفس العام فالثورة أقنعت السلطان بضرورة مغادرة فاس العتيقة وبناء حاضرة جديدة وذلك لحماية اليهود باعتبارهم من أهم العناصر التي تحالفت مع المرينين وأمدتهم بالأموال وكل ذلك ساعد اليهود على تحسين وضعهم واحتكارهم لبعض الحرف كصياغة الذهب والصيرفة ، وجعلوا من طريق الذهب السوداني طريقا يهوديا[٤] .

---

[١] ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص١٨٩ ، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، جـ١ ، ترجمة محمدحجى وآخرين، منشورات دار الغرب الاسلامى بيروت ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، ص٨٧.

[٢] ربض النصارى : كان يضم عدداً كبيراً من النصارى ، وكان وجودهم منذ عام ٦٢٤ هـ/١٢٢٣م في عهدالمأمون الموحدي وبكثرة عندما التمس المأمون مساعدة فرناندو الثالث ملك قشتالة له بفرقة من الجندالنصارى ليتقوي بهاعلي يحيي بن الناصر ، وبالفعل أمده بجيش بلغت عدته عشر ألف فارس، وربض النصارى يقع في مؤخرة مدينة فاس الجديد بالناحية الموالية لساحة التجارة. للمزيد انظر : ابن أبي زرع : المصدر السابق،ص ٢٥٠. فموقع مدينة حمص هو نفس موقع الملاح القديم ، فالملاح موضعه في الجهة التى تسمى اليوم بساحة التجارة ، بينما الملاح الحالي مقبرة يهودية قبل أن يصير حيا يهوديا بعد عام ١٧٢٤م للمزيد انظرمحمد المنونى: ورقات عن حضارة المرينيين ، ص ٢٤٩

[٣] القلقشندى: صبح الاعشي ، جـ ٥، ص ١٥٤.

[٤] ابن أبى زرع :الذخيرة ، ص١٦١،محمد المنونى ورقات ص ٤٣-٤٦ ، مصطفى نشاط : جوانب من المسكوت عنه ، ص ٢٠ .

وكانت فاس الجديدة يحيطها سوران ، وبكل سور منهما أبواب ، فالسور الأول يوجد به بـاب عيون صنهاجة وباب السمارين وباب القنطرة ، أما السور الثاني به باب الجياف والذي يسميه البعض باب الجياد الواقع شرق باب السبع وهو مدخل مدينة فاس الجديد من جهة المدينة القديمة .[١]

وتتميز فاس بموقعها إذ تتوسط مدن المغرب الأقصى ، حيث تقع علـى نقطـة تقـاطع بـين محورين كبيرين للاتصالات ، المحورالأول يمتد من الشمال إلى الجنوب بـين البحـر المتوسـط أو مضيق جبل طارق إلى ما وراء الصحراء الكبرى اما المحورالثانى فيمتد من الغرب إلى الشرق بـين ساحل المحيط الاطلنطى ووسط المغرب الأقصى. [٢]

وقد حدد المؤرخون الجغرافيون المسافة بين فاس ومدن المغرب الأقصى ، فمن فاس إلى سبته التي تقع شمال فاس ستة أيام ومن فاس إلى سجلماسة[٣] جنوبا ثماني مراحل ، ومن فاس إلـى سـلا غربا أربع مراحل ، ومن فاس إلى تلمسان بالمغرب الأوسط تسع مراحل ، فكان لموقعهـا هـذا دور كبير فى التقارب والاتصال بين فاس ومدن المغرب الأقصى والأوسط والسودان الغربي.[٤]

ومنطقة فاس عبارة عن سهل مرتفع ، تحده الجبال من الشمال ومن الجنوب بينما تبقي جهاته الشرقية والغربية مفتوحة ، فهي نقطة لقاء بين سكان الجبال الجنوبية "جبال فازاز"[٥] والجبال الشمالية "جبال غماره" [٦].

---

[١] محمد المنونى : ورقات ص ٤٣-٤٦

[٢] الحميري: مصدر سابق ، ص٤٣٤ ، مارمول :إفريقيا ،جـ١، ص ٣٩٢ .

[٣] سجلماسة: بينها وبين فاس عشرة ايام ، فهى تقع فى ملتقى الطرق التجاريـة، فتراقـب تجـارة القوافـل وتمـدها بالاحتياجات، وبفضل موقعها الاستراتيجى ربطت بين افريقيا من الجنوب الى شمال المغرب وأوربا عن طريق البحـر المتوسط شمالا . للمزيد انظر:البكرى : المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيريا ، الـدار العربيـة للكتب ، جـ ٢ ، ١٩٩٢ ، ص١٤٨ ، الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القـاهرة ١٩٨٠ جـ١ ، ص ٥٠ ، ماى كول: الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة ، ترجمـة محمـد الحمـداوى، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٦٢- ٦٣ .

[٤] البكري : مصدر سابق ص ١١٥ ، ١٤٦ ،١٤٧ ، الادريسى : مصدر سابق ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

[٥] جبال فازاز: من الجبال المشهورة فى بلاد المغرب ، وهوجبل تسكنه أمم كثيرة من البربر، وهم يكسبون من الماشية ويزرع لديهم خشب الأرز العتيق ، للمزيد انظر الحميرى : مصدرسابق ، ص ٤٣٥ .

[٦] جبال غمارة : تقع شمال المغرب الاقصى وهونسبة الى غمارة شعب من البربر والبرانس وهم سموا باسـم والـدهم غمارة ابن مصمودة وهم غمروا فى الجبال فسموا غمار واطلق على الجبال اسمهم ، للمزيـد انظـر ابـن خلـدون : مصدرسابق جـ٦ ، ص ٢١ .

ومنطقة فاس تشمل هضابا وسهولا يصل ارتفاعها إلى خمسمائة متر ، وإلى الشمال الغربي في هذه المدينة تقع مرتفعات "زرهون " التى يبلغ طولها حوالى ثلاثين ميلا إلى الغرب ، وعرضها عشرة اميال ، وشكلها العام جبلى ولارتفاع الجبال المجاورة أهمية فى سقوط الأمطار وتكوين الثلوج على هذه المرتفعات التى تذوب وتمد بذلك نهر سبو بالمياه التى تروى فاس ، ومنبع هذا النهر جبال صنهاجة (بنو وراتين) .[1]

وهكذا يمكن القول إن مدينة فاس قطب بلاد المغرب الاقصي ، ويسكن حولها قبائل البربر الذين يتحدثون اللغة العربية ، وهي حاضرة المغرب الكبرى ، فأعان موقعها على أن تشد اليها الركائب ، وتقصدها القوافل وتجلب إلي حاضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة ، لذلك فان معظم أهلها مياسير . [2]

ومنطقة فاس تمثلها مجموعة من الهضاب يبلغ ارتفاعها ما بين أربعمائة و خمسمائة مترا وتربتها متنوعة حسب المناطق ، وكان لتنوع تربتها أثراكبيرا في تنوع محاصيلها الزراعية ، ونشاط أسواق الغلال والمواد الغذائية . وتضاريسها مضطربة لكثرة الأودية التي تمر بها ، ومثل ذلك منطقة وارتين الواقع شرق فاس علي بعد ثمانية عشر ميلا وهي بلاد كلها تلال تربتها جيدة وتوجد في هذه المنطقة والي جانب المناطق الهضبية توجد مناطق تلال في شمال وغرب فاس. [3]

لقد اثرت البيئة الجغرافية لمدينة فاس تاثيرا كبيرا على نشاط سكان هذه المدينة ، فالإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها .

كما أدى وقوع مدينة فاس وسط المغرب الأقصي الذي اشتهر بسلاسل جبال أطلس وبوديان غزيرة بالإضافة إلى المياه الجوفية ، إلي جانب الأمطار الغزيرة التي تسقط على معظم أنحاء المغرب الأقصى ، إلى تمتع مدينة فاس بوفرة المياة بالاضافة الى تمتعها بموقع متميز بين مدن المغرب الأقصى مما جعل هذه المدينة ترتبط من خلال الطرق والمسالك بمعظم مدن المغرب الأقصى بل والأوسط . وليس أدل علي ذلك من أن موقعها جاء اختيارا واضحا متميزا له أهميته سواء من الناحية الاقتصادية (الزراعة، الصناعة ، التعدين) أو الناحية السياسية حيث يمكن الحكم القائم من السيطرة

---

[1] محمد مزين: فاس وباديتها، سلسلة رسائل وأطروحات كلية الاداب والعلوم الانسانية جامعه محمد الخامس ، رقم١٢الرباط ،ج١ ص٣٧-٤٩، وارتين: تقع على مسافة ثمانية عشر ميلا الى الشرق من فاس، وهم ينتجون مقادير كبيرة من القمح ، ومراعيها ممتازة لتربية الماشية .انظر الوزان : وصف أفريقيا، ترجمة محمدحجى وآخرين ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٨٣ ، ص٢٩٨.

[2] البكري : مصدرسابق ، ص ٧٩. ،

[3] محمد مزين: المرجع السابق ، ص٥٩ -٦٠ .

علي ما حولها من مدنٍ وبلدان ، وأخيرا يمكن القول أن هذا الموقع قد أسهم في ربطها بالبحر المتوسط وتجارته بالإضافة إلى وقوع المدينة على ملتقى الطرق المؤدية إلى بلاد السودان الغربي مما أنعش أسواق هذه المدينة. [1]

فاعتدال المناخ ساعد على جذب السكان للمدينة وزيادة أعداد الوافدين إليها ، مما أدى إلى خلق احتياجات سكنية لتكفي احتياجاتهم اليومية وقد جذبت المدينة ايضا التجار الأجانب لرغبتهم في تحقيق الأرباح الوفيرة فساعد هذا الأمر على ازدهار الأسواق وتنوعها في المدينة.

وساعدت وفرة المياه وخصوبة التربة بمدينة فاس على الزراعة . فيقول عنها أبو زرع" (لهامن المحراث العظيم سقيا وبعلا عن كل جهة ، منها ماليس هوعلى مدينة من مدائن المغرب). فمدينة فاس يشقها نهر كبير يسمى بوادي فاس يأتي من عيون تسمى عيون صنهاجة، فيكثر بالمدينة العيون فالنهر يشقها نصفين ، ويتشعب في داخلها من بساتين وشوارع وأسواق". [2] ويذكر ابن سعيد أن عدد عيون مدينة فاس يساوى عدد أيام السنة فكان لتوافرالمياة داخل مدينة فاس أثره في قيام العديد من أنواع الزراعات. [3]

وقد أفاضى المؤرخون في الحديث عن هذا النهر ومياهه العذبة ، وأنه من أفضل مياه الأرض وأعذبها وأخفها. [4] فكان لتوافر المقومات الطبيعية من مياه وتربة خصبة أثره في انتشار البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار بمدينة فاس كل ذلك أدى لجذب السكان إلى المدينة وبالتالى ازدهار أسواقها.[5]

وخاتمة القول ان البيئة الجغرافية كانت تحديا للنشاط البشري في فاس ذلك النشاط الذي نجح في الاستجابة لهذاالتحدي استجابات ناجحة جعلت فاس مركزا زراعيا وصناعيا وتجاريا سجله التاريخ لهذه المدينة.

---

[1] الجزنائى: مصدر سابق، ص ٣٦ . محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠.

[2] الإدريسى: مصدرسابق، جـ١ ص ٢٤٧، الأنيس المطرب : ص٣٣٠.

[3] ابن سعيد: كتاب بسط الأرض فى الطول والعرض ، تحقيق اسماعيل العربى، المكتب التجارى للطباعة ، بيروت ١٩٧٠، ص١٤١.

[4] مجهول: رسالة فى ذكر من اسس فاس ، ورقة ٢٢. مجهول :الاستبصار فى عجائب الامصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب ، نشر وتعليق سعد زغلول ، ص ١٨٥ .

[5] حسين مراد :فلاحو فاس فى عصر الموحدين ، ص ٦٧ .

٢- البيئة الزراعية:

تعد الزراعة من المقومات المهمة لنشاط الأسواق فى مدينة فاس وقد ازدهرالنشاط الزراعى بفضل البيئة الزراعية التى وجدت فى هذه المدينة بفضل توافر مقومات هذه البيئة وهى الأرض الخصبة الصالحة والمياه العذبة ، والمناخ الملائم لأنواع معينة من المحاصيل سواء كانت محاصيل زراعية كالقمح وما شابهه أو محاصيل بستانية كأشجار الفاكهة بأنواعها .

يزيد الجغرافيون في وصف فاس وزروعها ومياهها ، فيقول صاحب كتاب الاستبصار:(مدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه وجميع الثمار ، ولها أقطار واسعة متصلة العمائر، وعدوة القرويين في هذه المدينة أكثرها بساتين وأشجار ومياه وعيون من عدوة الأندلسيين وكلتاهما خصبة عظيمة القدر جليلة الحظ ، ويقال أن بعدوة الأندلس تفاح حلو يعرف بالاطرابلسي جليل حسن الطعم والرائحة . وزاد المؤلف وصفا في فاس وأنهارها ومياهها ، بأن منبع نهر فاس من جبل في بلاد "بني ورتين"ورأس العين في بئر غامضة يهاب الدخول فيه). [١]

والي جانب النهر وفروعه توجد في فاس عيون جارية سارحة تقدر بنحو ثلاثمائة وستين يضمها السور، وربما وصلت أربعمائة ، والماء مسلط علي دياراتها ومساكنها ، أما المتخذات* فهي مستوية وبفاس العتيقة جنائن ورياض ذوات أشجار ورياحين في دور الكبراء وبيوت الأعيان ، ويلي القصبة القديمة مخازن الغلال داخلها المطامير ، وهي مجموعة في مكان واحد يستدير بها سور منيع عليه باب وغلق ، ويسمي هذا الموضع بالمرسي القديم . [٢]

---

[١] مجهول: الاستبصار ، ص ١٨٨ .

* وكلمة المتخذات تعني المناطق المرتفعة التي يبدأ منها النهر، وكلمة مجبلة أي جبلية، والقصيدة تغني في السوق محمد مزين: مرجع سابق، ص ٦٠.

[٢] البكري : مصدر سابق ، ص ١٥٥ ، العمري : مصدر سابق ، ص ١٨٣ . القلقشندى : مصدر سابق ، ص ١٥٤، الوزان: مصدر سابق ص ١٨٣ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين ، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس ، سنة ١٩٢٨ ، ص ٢٣، ابن رزين التجيبى: فضالة الخوان في طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد بن شقرون، الرباط، ١٩٨٨ ص ١٨٣. محمد المنوني: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المريني ، مقتبس من مالك الأبصار في ممالك الأمصار : لابن فضل الله العمري ، مجلة البحث العلمي الرباط يناير ابريل ١٩٩٤ م، العدد الأول، السنة الأولي، ص ١٤٢.

كما قام المرينيون بمشروعات مائية لحسن استخدام المياه في مدينة فاس حيث أقاموا سدوداً على وادي الزيتون في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي ، لتنظيم مياه الري والتحكم فيها مما أدى لزيادة الزراعة بمدينة فاس .[١]

ويذكر المقريزي: " إن بمدينة فاس زراعة وحرف وعمارة ، أسعارها رخيصة ونعمها وافرة وفواكهها كثيرة وفيها نقوش ودروب من الزينة ، ومياه جارية ، ومتنزهات سامية ، وجهاتها مخضرة وفى أهلها عزة ومنعة". [٢]

وتتميز مدينة فاس بوجود بيئة زراعية جيدة، فالأراضي التي تمتد لمسافة كبيرة حول المدينة تعد صالحة لكافة أنواع الزراعة حيث تنمو الحبوب والكروم والزيتون وأنواع عديدة من أشجار الفاكهة. [٣]

فأرض فاس الزراعية تعد من أفضل الأراضى فهي سوداء وحمراء ، لذلك تنوعت بها الزراعات من تفاح ولوزوأجاصى وزيتون وكمثرى وقراصيا وفول وشعير وذرة وعدس، كل هذه الأنواع بسبب تنوع التربة بفاس ، فنجد التربة الجبلية والتى زرع بها التين والورد والكرم والمشمش، وتربة رطبة وزرع بها الكتان والقطانى وجميع أنواع البقول ، كما ساعد وجود التربة الرملية على زراعة اللوز والحناء أما الأرض اللينة زرع بها الأجاصى فمع تنوع التربة تنوعت المحاصيل . [٤]

وقد صور ابن أبي زرع حسن البيئة الزراعية لهذه المدينة اذ قال : " لقد جمعت فاس بين طيب التربة ، وحسن الثمرة ، وسعة الحرث ، وعظيم بركته ، وقرب المحطب ، وكثرة عدده وشجره، وبساتين مشرقة ، ورياض مورقة وعيون منهمرة ، وأنهار متدفقة منحدرة" . [٥]

هكذا ساعدت البيئة الزراعية لهذه المدينة في تعدد أنواع المزروعات وأشجار الفاكهة كما أسهمت في نشأة مائة قرية يسكنها من يفلحون الأرض بالاضافة الى رعي الأغنام ، وقد اعان هذا

---

[١] القزويني:أثارالبلاد وأخبار العباد بيروت، د.ن ، ص ٩٨ . الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الرباط ١٩٨١، جـ٥ ، ص ٢٧ .

[٢] المقريزي : مصدر سابق ، ص ٦٢ .

[٣] دائرة المعارف الإسلامية: مرجع سابق ص ٧٦٨٥.

[٤] ابن العوام : كتاب الفلاحة ، نشر خوسيه أنطونيو ، مدريد ،١٨٠٢ ، جـ١ ، ص ٩٠ -٩٦ .ابن بصال: كتاب الفلاحة ، نشر خوسى مارية مياس بيكروسا ومحمدعزيمان ، تطوان ١٩٥٥ ، ص ٦٧ ، ٧١.

[٥] الأنيس المطرب: ص٣٣٠ .

التجمع القروي في إقامة عمران حضاري باستخدام الأحجار من الجبال والتلال في بنـــاء المـــساكن ، وبهذا الأمر تنوعت الأسواق وازدهرت لتلبية الحاجات السكانية .[١]

وقد أنتشرت زراعة الزيتون بفاس خاصة قرب عدوة القرويين كما زرعـــت تـــلال جبـــل زلاغ وزرهون والجبال المطلة علي فاس من جهة الشرق. ومنطقة بني مزكلدة* وبني ومـــود * بكميـــات كثيفة ومساحات شاسعة من أشجار الزيتون . [٢]

ويوجد من أنواع الحبوب القمح والشعير والفول والحمص والعدس والسمسم والأرز الذي يـــزرع في مساحات قليلة ، وأما أنواع الفواكه فهي كثيرة مثل النخيل والعنـــب والتـــين والرمـــان والزيتـــون والسفرجل والتفاح علي أصناف والكمثري، والمشمش والبرقوق والخوخ والقراصيا والجـــوز واللـــوز والاترج والليمون والليم والنارنج والزنبوع وهو الكباد والبطيخ الأصـــفر والأخـــضر ، إلـــي جانـــب الخضروات مثل الخيار والقثاء واللفت والباذنجان والقرع والجزر واللوبيا والكرنب والشمار والصعتر وسائر البقول وقصب السكر . [٣]

وتوجد أشجار الكافور القيصوري ، وهو أحسن أنواعه ، وثمار التفاح الطرابلسي ومن ثم فإنهـــا أي فاس من أكثر بلاد المغرب ثمارا وخيرا . [٤] وزرعت في غرب مدينة فاس مساحات واسعة مـــن القطن والكتان وفي الحقول والسهول والهضاب المجاورة للمدينة. [٥]

وتدل هذه المزروعات والفواكه وتنوعها علي البيئة الزراعية المزدهرة بفـــاس بالإضـــافة إلـــى غناها وقد أثرذلك في نشاط أسواق هذه المدينة فقد كان هناك أسواق خاصة بهذه المنتجـــات التـــي لا يستغني عنها أحد من السكان . ومن الطبيعي أن يعمل في الزراعة بمدينة فاس الفلاحون الذين امتهنوا هذا العمل وتوارثوه فأجادوه سواء كانوا ملاكا للأرض المنزرعة أو كانوا أجراء يعملون بها لحـــساب أصحابها ، ويسكنون في القري بالقرب من الأرض الزراعية ومن هنا نجد عدد كبير مما لا يملكـــون

---

[١] محمد مزين: مرجع سابق، ص ٥٩ ،٦٠ .

[٢] ياقوت الحموي: معجم البلدان دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م، جـ٢، ص٢٣٠.العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ص١٨٠ الجزنائى : مصدر سابق ، ص٣٤.

*بنى مزكلدة :هى منطقة باقليم فاس ، وبنى ومود منطقة باقليم فاس لايفصلها عن فاس سوى النهر .للمزيـــد مـــارمول: مصدر سابق ؛ ص٢٥٢.

[٣] ابن غازي : مصدرسابق ، ص ٨ ، مار مول : مصدر سابق، جـ١ ، ص ١٦٢ .

[٤]الحميري : مصدر سابق ص ٤٣٤ ؛ العمري : مصدر سابق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ .

[٥] إبراهيم حركات :الحياة الاقتصادية في العصر المريني ، مجلة كلية الاداب ، الرباط ١٩٧٨، ص ١٣٣.

الأرض يعملون لدي كبار الملاك أو الشركات التي تحتاج الي أيدي عاملة في مجال الزراعة أو تربية الماشية.[١]

وقد ازدهرت الزراعة في العصر المريني في المغرب الأقصى بوجه عام ومدينة فاس بوجه خاص بفضل ما تمتع به المغرب الأقصي ومدنه من دعائم ضرورية للزراعة ، وأهمها وفرة مصادر المياه وجودة التربة وتنوع المناخ الذي كان له أثره في تنوع المحاصيل والثمار ومن الأراضى الخصبة فى فاس أراضى مجشر القلع والذى يقع على مقربة من أراضى زراعية [٢]

وقد أشار المراكشي إلي هذه الحقيقة الهامة حين قال : "وأرض المغرب أخصب رقعة علي الأرض فيما علمت وأكثرها أنهاراً مطردة أشجارا ملتفة وزروعا وأعنابا وبها سبعة أنهار أهمها نهر سبو الذي يحيط مدينة فاس شرقها وغربها " . [٣]

لقد اهتم سلاطين بنو مرين بالزراعة ، حيث أقطعوا كبار رجال الدولة كالقضاة وقادة الجيش، وكبار الأشياخ الاقطاعات الزراعية وكان أشراف هؤلاء علي هذه الاقطاعات سبيلا الي زيادة الإنتاج في اقطاعاتهم مما كان له أثره في زيادة المنتجات الزراعية بمدينة فاس. [٤]

٣- الرعي والغابات :

اذا كانت البيئة الزراعية قد اسهمت فى ازدهار أسواق مدينة فاس ، فأن هذه الاسواق قد ازدهرت بفضل النشاط الرعوى ووجود الغابات قرب المدينة .

أ- الرعى

كان لانتشار المراعى فى مدينة فاس أكبر الأثر فى انتشار حرفة الرعى ، وقد وجدت المراعى حول جبل فازاز وجبل بنى يازغة وجبل غمارة ، واشتغل عدد كبير من القبائل بحرفة الرعى فعملوا على تربية قطعان من الماشية سواء لهم أو لأصحابها وهم يرعونها بالأجر. [٥]

---

[١] محمد فتحة : أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن السادس الي القرن التاسع الهجري بعنوان النوازل الفقهية والمجتمع ، جامع الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، منشورات كلية الآداب ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٧٦ ، ٢٧٧.

[٢] الونشريسى : مصدر سابق جـ٨ ، ص ٥ .

[٣] عبدالواحد المراكشى: مصدر سابق، ص٢٤٤.

[٤] محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الاسلامى ، ص ٢٨٨.

[٥] مجهول :الاستبصار ، ص ١٨٧ ، ابن سعيد: مصدرسابق ، ص ٥٩ ،الجزنائى: مصدرسابق ، ص٣٥.

وساعد على ازدهار حرفة الرعى فى مدينة فاس بالاضافة الى المراعى وفرة بعض المحاصيل الزراعية من شعير وذرة والتى استخدمت كعلف للماشية. وازدادت تربية الحيوانات بسبب تنوع السكان الذين أدخلوا طرقا جديدة للانتاج فعمل العرب والأندلسيين على نشرتربية الأبل والأغنام بشكل واسع وأدخلوا أنواعا من الخيول بمدينة فاس .[١] والى جانب العرب والاندلسيين استقرعدد من اليهود فى المناطق الريفية والجبال وقدعمل هؤلاء بحرفة الرعى والانتاج الحيوانى. [٢]

وعمل أيضاً عدد كبير من البربر فى حرفة الرعى فيوضح "ابن الاحمر" أن عدداً من بيوتات فاس قد عملوا فى الرعى كبيت بنى شيبون أحترفوا جلب الأبقار وبيع ألبانهم . [٣]

وساعدت وفرة الثروة الحيوانية فى مدينة فاس على توفير الاحتياجات الخاصة بالسكان من لحوم وألبان وأصواف بأسواق المدينة ، فكان يباع بفاس يوميا عشرون ألف بطة من اللبن الطرى والحامض. وكثر عدد دكاكين الجزارين فوصل عددهم الى أربعين دكانا ، وأصبح لهم سوق خاص بهم وهو سوق الجزارين . [٤]

وأدى انتشار حرفة الرعى إلى توافر كميات كبيرة من جلود الحيوانات ، فأحترف عدد من سكان مدينة فاس حرفة دباغة الجلود والتى استخدموا فيها جلود الماشية والغزلان ، كما استخدمت جلودها فى الكتابة عليها لرقتها وكان لهم سوق سمى بسوق الرقاقين . [٥]

وكان لوفرة المواد المستخدمة فى الدباغة أثر كبير لأزدهار هذه الصناعة بمدينة فاس ، حيث زرع بفاس شجرة التالكوت التى استخدمت عصارتها فى دباغة جلود الأغنام وغيرها ، وأيضا القرمزية التى استخدمت فى الصباغة وهى حشرة طفلية تعيش على شجر البلوط ، وكان يعمل بهذه الحرفة عدد كبير من اليهود.[٦]

---

[١] البكرى : مصدرسابق ، ص ١٥٣ ، محمد الطويل: الفلاحة المغربية فى العصر الوسيط رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة محمدالخامس ، الرباط ١٩٨٧ -١٩٨٨ ، ص ٦٣ .

[٢] عبدالرحمن بشير: اليهود فى المغرب العربى (٢٢-٤٦٢ هـ /٦٤٢-١٠٧٠ م) ، ص ٨٦.

[٣] ابن الاحمر: مصدرسابق ، ص ٢٤ .

[٤] الوزان : مصدرسابق ، ص٢٣٤ -٢٣٧ .

[٥] محمد المنونى : تاريخ الوراقة ، ص٣٤.

[٦] عبدالرحمن بشير : مرجع سابق ، ص ٩٦ ،٩٧ ، عبدالعزيز العلوى :صناعة النسيج ، ص ٥٠ ، محمد الحبيب ابن الخوجة: يهود المغرب العربى، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، معهدالبحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٣ ، ص٧١.

وزادت أهمية الدباغين بمدينة فاس ، فكان عدد منهم يعد الجلود للصنع من جلود الماعز والخراف والأبقار والغزلان والجمال . وكان لكثرة عدد المدابغ فى فاس أثره فى قلق السكان من روائح الجلود وتلوث المياة ، فأخرجت هذه المدابغ الى أرباض المدينة . [١]

وبعد دبغ الجلود كانت تنقل الى أصحاب الحرف المختلفة ، فهناك صناع العدة والسروج للدواب والخيل ، وصناع الحقائب والكتب وصانعوا الأحذية ، وكان لذلك أثر فى ظهور صناعة التطريز .[٢] كما انتشرت صناعة القرب التى كان يحمل فيها المياة وهذه القرب مخيطة خياطة جيدة.[٣]

وأعان تربية الأغنام على نطاق واسع بمدينة فاس فى ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية ، فاشتملت فاس على خمسمائة وعشرين دار للنساجين ، ومائة وخمسين دكانا لصباغة الغزل ، فوجد بفاس سوق للأقمشة الصوفية وكان يضم مائة دكانا. [٤]

هكذا ارتبطت أعداد كبيرة من الأسواق بحرفة الرعى حيث نجد سوق الجزارين ويضم أربعين دكانا، وسوق صانعى الدلاء الجلدية ويضم أربعة عشردكانا ، وسوق الركابات والسروج والأحزمة ويضم أربعين دكانا ، وأسواق الخرازون الذين يصنعون أحذية الاطفال ، وبلغ عدد دكاكينهم نحو خمسين دكانا ، واحتل الخياطون ثلاثة احياء بمدينة فاس ، وتجار الكتان وتجار الاقمشة النسائية حيان وكانوا من أغنى تجار مدينة فاس . [٥]

ثانيا: الغابات

انتشرت الغابات على مقربة من مدينة فاس فكانت تحتل ثلث جبال غمارة وثلثى جبال فازاز، وتعدت ذلك لتشمل جزءا من سهل سايس* والمناطق المحيطة بفاس . [٦]

---

[١] ابن ابى زرع :الانيس المطرب، ص ٤٨ ، الجزنائى: مصدرسابق، ص ٤٤ ، روجيه لوطورنو : فاس فى عهد بنى مرين، ص١٣٣.

[٢] الوزان: مصدرسابق ، ص ٢٣٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

[٣] مارمول: مرجع سابق ، ص ١٥٤ ، روجيه لوطورنو : مرجع سابق، ص ٧٤.

[٤] الوزان: مصدر سابق ، ص ١٩٢ ،١٩٣ ، عبدالعزيز العلوى صناعة النسيج ، ص ٥٠ .

[٥] الوزان: المصدر السابق ، ص ٢٣٤ -٢٣٩ . محمدالطويل: مرجع سابق ، ص ٢٩ .

*سهل السايس :هوالسهل الممتد من فاس ومكناس الفاصل بين سلسلة جبال الأطلس المتوسط ، وسلسلة جبال الأطلس الساحلى وكانت تسكنه قديما قبائل بربرية مثل أورية ، واليوم تسكنه قبائل عربية مثل حميان ، وأخرى بربرية مستعربة مثل بنى عياش ، وتربته من أخصب تربات المغرب ويتميز باعتدال أرضه وكثرة مياهه . للمزيد انظر ابن القاضى : مصدرسابق ، ص ٢٨ .

[٦] المقدسى: صورة الارض ، ص٢٢٩ ، لوطورنو: مرجع سابق، ص ١٢٨ .

وقد ساعدت هذه المساحات الكبيرة من الغابات على نمو كثير من الأشجار، مثل شجر الأرز والبلوط وشجر الزيتون ، فانتشرت غابات الزيتون شمالى المدينة الى نهر سبو ثم نهر ورغة وحتى سفوح الجبال التى تطل على البحر المتوسط ، واستخدمت أخشاب الزيتون فى بناء المنازل من شبابيك النوافذ والاقفال . [١]

واستخدم حب الزيتون فى صناعة الزيت فكان حب الزيتون ببحيرة [٢] فاس يباع بخمسين ألف دينار واستخدم هذا الزيت فى إنارة الجوامع بمدينة فاس كجامع القرويين . فكانت معاصر الزيت تقوم على مقربة من أبواب فاس حيث كانت تحمل أحمال الزيتون ، وتدخل منها لقربها من غابات الزيتون والتى كانت أكثر عددا شمالى مدينة فاس . [٣]

وبجانب أشجارالزيتون وجدت أشجارالأرز ، وهومن أهم الأشجار بمنطقة جبال غمارة وسفوح فازاز وبنى بهلول جنوبى مدينة فاس ، فيعتبر خشب الأرز من أطيب أخشاب الأرض فيعمر العود منه فى سقف البيت الف سنة لا يعفن ولا يسوس ، وكان يصنع منه الشبابيك فكان يحمل الحطب الكثير منه الى مدينة فاس من سائر جهاتها ، فيدخل للمدينة منه كل يوم ما لا يحصى كثرة . [٤]

كما وجد بمدينة فاس شجر البلوط ، ففى كل يوم يوجد على أبواب مدينة فاس أحمال من حطب البلوط والفحم مالايوصف كثيرة. [٥]

ساهمت غابات فاس وماحوته من أشجار فى ظهور صناعات عديدة من الأخشاب ، وعدد من الحرف المرتبطة بها فوجدت بفاس دكاكين النجارين الذين يصنعون عجلات العربات والطاحونات لرفع الماء ، والطبليات المستديرة والرفوف والصناديق لحفظ الملابس والأثاث ، ومن ثم كانت هناك فئة من الصناع المساكين الذين يصنعون المكانس الصغيرة من أشجار النخيل القصيرة ، وصانعوا البراميل لحمل المياة على شكل الدلاء . [٦]

---

[١] ابن غازى: مصدرسابق ، ص ٦ ، ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص ٦٦ .

[٢] البحيرة:هى عبارة عن مساحة كبيرة من الارض واجرى اليها الماء . للمزيد انظر حسين مراد : فلاحو فاس ، ص٦٩.

[٣] مجهول : رسالة في ذكر ، ورقة ٤٥ ، القلقشندى: مصدر سابق ، ص ١٥٤. العمري: مصدر سابق ، ص ١٩٤، الجزنائى: مصدرسابق ص ٣٥ ، لوطورنو : مرجع سابق ، ص ٧٤

[٤] Martin (j) etautres Ge`ogra phiedu maroc,paris 1967 ,p30 -31

[٥] مجهول:الاستبصار، ص١٨٧ ، الحميرى: مصدرسابق ، ص ٢٣٥ ، ابن ابى زرع:،مصدر سابق، ص ٣٦ ، الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٣٤ ،٣٥ .

[٦] الوزان: مصدرسابق ، جـ١ ص ٢٤٤ ، مارمول : جـ١ ، ص ١٥١ ، لوطورنو : نفسه ، ص ١٣٥ ،١٣٦ .

ولأهل فاس اليد الطولى فى صناعة المخروطات الخشبية ، وقاموا بصناعة القباب من خشب التوت الأسود والأبيض وخشب الجوز والليمون ، ووجد عدد من الدلالين وهم متخصصون فى حمل وكيل الزيت عندما يباع بالحمل . [١]

لقد ساعدت كثرة الغابات حول مدينة فاس على توفير ثروة خشبية ضخمة للمغرب الأقصى عامة ولمدينة فاس خاصة فى العصر المرينى مما أدى إلى توفيرالأحتياجات الخاصة بالسكان من مصنوعات خشبية ، إلى جانب الزيوت التى صنعت من ثمار هذه الأشجار فى أسواق هذه المدينة مما ساعد فى ازدهار تلك الأسواق .

٣- وفرة المواد الخام المعدنية

توافرت بمدينة فاس الكثير من المواد الخام المعدنية التى استخدمت فى العديد من الصناعات، والتى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس .

تفوقت مدينة فاس على غيرها من المدن باستخراج الملح على بعد ستة أميال منها ، حيث توجد الملاحة فى مساحة ثمانية عشر ميلا أولها فى مجشر الشاطبى وآخرها بوادى مكس وفى هذه الملاحة أصناف من الملح لا يشبه بعضها البعض في الألوان والصفات ، وعلي هذا يتوفر الملح بمدينة فاس بكميات كبيرة ، حيث يباع كل عشرة أصوع بدرهم أقل اواكثر بحسب ما يجلب ومعدن الجبص والصلصال وأنواع الحجارة والرمال علي اختلاف أنواعها. وكان الملح لكثرة استخراجه من هذه الملاحة يتوافر أكثر من حاجة المستهلكين ، حتي يأتي وقت يباع الحمل بدرهم وأحيانا لايجد بائعة من يشتريه لكثرته ومن ثم تزدحم به دكاكين التجار في أسواق فاس. [٢]

كما توجد في فاس أيضا رمال تصلح لصناعة الزجاج ، فكثرت الأفران لعمل الزجاج التى وصل عددها إلي أكثر من ألف فرن موزعة في شوارع وأزقة المدينة ، منها أحد عشر موضعا كبيرا لصنع الزجاج . [٣]

---

[١] العمرى : مصدر سابق ، ص ١٩٦ ، الوزان : المصدرالسابق جـ١، ص ٢٤٢ ،٢٤٣.

[٢] ابن القاضي : مصدر سابق، جـ١ ص ٤٣ ، ٤٤. الجز نائي: مصدر سابق ، ص ٢٥ .

[٣] مجهول: مخطوط ذكر من أسس فاس ، ورقة ٤٥.

كما تم استخراج الفضة والنحاس والحديد قرب فاس ، التى اشتهرت بنحاسها الأصفر ، والذى يحمل الى جميع الأفاق ، فيوجد اثنتى عشرة دارا لسك النحاس المستخرج من مناجم النحاس بالجبال المجاورة للمدينة. [١]

وساعدت هذه المعادن على وفرة المواد الخام اللازمة لصناعة الحلى والمسكوكات، والموازين والمكاييل فوجدت أسواق الحدادين التى عملت على توفير احتياجات المجتمع ، فكان لاهلها اليد الطولى فى صناعة المخروطات النحاسية ، وتوافرت المصنوعات الحديدية من مسامير وسيوف والركابات ، كل ذلك ساعد على ظهور حرف أخرى ارتبطت بالحدادة وهى النجارة والبناء . [٢]

ثانيا: المقومات البشرية:

اذ كانت المقومات الطبيعية هي الأساس لتعدد الأسواق وأزدهارها فى مدينة فاس فهى الأساس ايضا لنشاط العنصر البشري ، بعد استعراض المقومات الطبيعية التى أسهمت فى ازدهار أسواق فاس نعرض هنا المقومات البشرية التى أسهمت أيضا فى هذا الأزدهار المتمثلة في الآتي :

أ – الوضعية السياسية لمدينة فاس :

ملك الأمير أبوبكربن عبدالحق مدينة فاس مع أواخرشهرربيع الأول من عام (٦٤٦ هـ/١٢٤٨م) ودخلها بعد حصار لمدة عام فبايعوه اهلها بالرابطة عند باب الشريعة ، وكان أول من بايعه الشيخ الفقيه عبدالله القشتالى ثم الفقهاء والأشياخ ، وأخرجوا السيد أبا العباسى من القصبة بعياله وأولاده ، وبدخول الأمير ابى بكرمدينة فاس استقامت له أمورالمغرب وتمهد له الملك وقدمت عليه الوفود للبيعة، وتهدنت البلاد وتأمنت الطرقات وكثرت الخيرات وتحركت التجارة .[٣] ثم خرج ابوبكر من مدينة فاس سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م إلى معدن العوام من بلاد فازار، واستخلف عليها مولاه السعود بن خرباش الحشمى ، فأجتمع نفر من اشياخ فاس إلى قاضيها أبى عبدالرحمن المغيلى، وتأمرواعلى خلع الأمير أبى بكر وقتل مولاه السعود ، وأن يبعثوا بيعتهم الى المرتضى ، ولما وصل الخبر الى الأمير أبى بكر شدد الحصار على مدينة فاس عام(٦٤٨ هـ /١٢٥٠ م) فبعث أهلها للامير يطلبون منه الأمان والعفو مقابل مائة الف دينار. [٤]

---

[١] مجهول: الاستبصار ص١٨١. الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٣٥ .

[٢] العمرى : مصدرسابق ، ص ١٩٦، الجزنائى : مصدرسابق ، ص ٣٣، محمد المنونى : وصف المغرب ، ص ١٤١.

[٣] ابن أبى زرع: مصدر سابق ، ص ٢٩٣ ،٢٩٤.

[٤] ابن ابى زرع : مصدر سابق ، ص ٢٩٤ ،٢٩٥ ، ابن خلدون: مصدر سابق ، ص ٢٣٠، ٢٣١.

أصبحت فاس حاضرة بني مرين حين دخلها المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق في عام (٦٥٧ـ٦٨٥ هـ/١٢٥٨ ـ١٢٨٦ م) فأنتعشت المدينة في عصره هووخلفاؤه . وزاد عمرانها بمدينة ألحقت بها تعرف بالمدينة البيضاء المعروفة بفاس الجديد . التى اتخذها دارا للإمارة ، وقد عزم المنصور بالله أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني ، بعد أن تمهدا ملكه في المغرب أن يختط بلدا ينسب إليه ويتخذه داراً لملكه ، ومركزا لسلطانه يسكنه هو وحاشيته وأولياؤه ، وسمح للناس باختطاط الدور والمنازل به وأجري فيها المياه الي القصور وأقام القناطر بطرقاتها ، ولما أتم بناء سور مدينة فاس الجديد أمر في عام ٦٧٦ هـ/١٢٧٧ م ببناء الجامع الكبير بفاس الجديدة للخطبة ، وتم البناء في رمضان عام ٦٧٧ هـ ١٢٧٨ م حيث أقيمت فيه الصلاة . [١]

وهكذا أزدهرت فاس عاصمة بني مرين بما اشتملت عليه من قصور للحكام والوزراء والتجار والأعيان والمدارس والفنادق ، وكل ذلك أحاط بقصر المنصور بالله الذي كان مشرفا علي محل خروجه . وإلي جانب ذلك أبقيت الحمامات ودور الصناعة والسفن الصغيرة التي تجري في النهر، فالمرينيون اهتموا بالحضارة والعمران ، ويبدو هذا واضحا من خلال المساجد والقصور الشامخة . أصبحت فاس إذن عاصمة دولة بني مرين ، فيها مقر الحكم والإدارة ومنها تخرج الرسل والسفارات والجيوش ، ومنها تخرج السلع والمصنوعات واليها ترد الخامات والبضائع والتجار، وتزدهر بها الزراعات والأشجار وتعمر بها المحلات والأسواق . ومع استقرار الملك لبنى مرين، بمدينة فاس وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها ، على ضفة الوادى المعروف بوادي الجواهر .[٢]غربا بقبليه أولها "المدينة البيضاء " وتعرف بالبلد الجديد ، وبناها أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق (٦٥٦-٦٨٥هـ/١٢٥٨-١٢٨٦م) وما استقل لهم سلطان ولا استقر له من عزيز الملك أوطان ، ثم مدينة حمص ويعرف موضعها بالملاح بناها ولده ابو سعيد عثمان بن أبي يوسف (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١م) بناها إلي جانب البيضاء والتى جعلها مسكنا لليهود ، وربض النصاري المتخذه لسكن الطائفة

---

[١] العمري: مصدر سابق ، ص ١٧٧ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصرالإسلامي،الإسكندرية ص ٤٤٠.

[٢] وادي الجوهر : هو يعلو مدينة فاس بنحو ستة أميال ، وهو يخرج من نحو ستين عنصرا جلها ينبعث من جهة القبلة وبعضها من جهة المغرب ، وينحدر نحو البلد فينقسم في داخلها علي جداول كثيرة فينشق أكثر جهاتها ويتشعب داخلها فيتفتح به في مساجدها وسقايتها ودورها وأرجائها وحماماتها وتسقي جناتها ، وأمر أمير المسلمين أبو سعيد بناء دار له في هذا الوادي للنزهة به ، حيث كان يعجبه كثيرا وسمي وادي الجوهر حيث يكثر به الصدف الثمين . مجهول: مخطوط ، رسالة ذكر فاس ، ص ٤٤،٤٣.

الفرنجية المختصة بخدمة السلطان والذى بني بالمرسى القديم خارج باب الشريعة ، ويطلق علي هذه الثلاث المتخذات اسم فاس الجديدة وكلها على ضفة الوادى الغربية . [١]

وقد اعتمد المرينيون على الجيوش التى أعدوها إعدادا جيدا للحفاظ على ملكهم ، وقد ارتبط جنودهم بالقبائل ، مثل بنى عسكر ، وبنى وطاس ، وبنى تنالفت، وبنى يرينان ، وقبائل من العرب كثيرة منهم بنى حسان والعاصم وبنى جابر ورياح وبنو سالم إلى جانب الإفرنج ، وعلوج المماليك ، والأندلسيون والوصيفات الخاصون بالسلطان يسكنون حواليه وينزلون فى السفر إلى جوانب محلته دائرين فى جملة نواحيه يقال لهم أهل الدوار . [٢]

ومع تولي بني مرين أمور الحكم في مدينة فاس عملوا علي تأمين السبل وتمهيد الطرق ، وعمل علي تعمير طرق المسافرين من حضرة فاس الي مراكش والي تلمسان [٣] والي سبتة [٤] وغيرها من البلاد فأقاموا الرتب (وهي خيام بأمر سكانها علي مقدار اثني عشر ميلا يسكنها) أهل الوطن ويجري لهم علي ذلك إقطاع من الأرض يعمرونها علي قدر الكفاية ثوابا ، يلزمون فيها ببيع الشعير والطعام وما يحتاج إليه المسافرون . [٥]

اهتم حكام بنو مرين بالاستقرارالسياسى لمدينة فاس ، فعملوا على فرض الأمن ، وأهتموا بالأمورالأقصادية وزيادة العمران وأنشاء المساجد والمدارس . فمع تولى السلطان يعقوب بن عبدالحق أمور الحكم فى فاس عام(٦٥٦هـ/١٢٥٨ م) عمل على فرض الأمن بالمدينة وكثرت الخيرات

---

[١] ابن أبى زرع : مصدرسابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٩٥ ، ابن خلدون : مصدر سابق جـ٧ ص١٩٥ ، محمد المنونى : ورقات، ص٤٩-٥٠ .

[٢] محمد المنونى: ورقات، ص ٥٤٨ ، وكلمة الدوار تطلق فى الاستعمال الامازيغى على مجموعة من سكان الخيام الذين كان يضمهم مكان واحد ، والغز جماعات من أتراك مصر وقد دخلوا شمال افريقية على عهد الموحدين .

[٣] تلمسان:هى قاعدة بلاد المغرب الاوسط ، وهى كانت دار مملكة زناته ويقطن حولها كثيرمن قبائل البربر،كثيرة الخصب والرخاء يقصدها التجار ومنها يسافرون الى سجلماسة وبين تلمسان وفاس مسيرة ثمانية ايام ، ويحدها من الغرب نهرزا، ونهرالملوية ومن الشرق نهرالوادالكبير، وصحراء نوميديا من الجنوب وكانت تدعى فى القديم القيصرية، واحتفظ بنوزيان بالسلطة بها لمدة ثلاثة قرون وتعرضوا لمضايقات بنى مرين، وهى تقع فى ملتقى الطرق التجارية فتجارو مع السودان الغربى للمزيد انظر البكرى: مصدرسابق ص٧٦ ،٧٧، الحميرى: مصدرسابق ،ص١٣٥، ١٣٦ ، الوزان : مصدرسابق ، ص ٣١٧ ،

[٤] سبته: مدينة كبيرة جدا، وأطلق عليها الرومان سيفيبتاس، ويوجدبها كثيرمن الصناع والأدباء وعمالها مهرة فى صناعة النحاس ومحط قوافل العصير والحرير والكتان . للمزيد انظر: الوزان : مصدر سابق، ص،٣١٨ .

[٥] ابن مرزوق: مصدر سابق، ص٤٢٩ .ابن أبى زرع : مصدرسابق ، ص ٢٩٤.

ورخصت الأسعار، حيث يصف لنا ابن أبى زرع الحالة الأقتصادية بمدينة فاس "فبيع الدقيق فى مدينة فاس الربع بدرهم ، والقمح ستة دراهم للصفحة ، والفول وجميع القطانى مالها رسوم ، ولايوجد من يشتريها ... " . [١]

وعمل السلطان يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق على تأمين الطرقات ، وأزال الرتب والقبالات والمكوس ، فأنجبرت أحوال الناس ورخصت الأسعار فى جميع الأقطار . [٢]

واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام باستغلال مياه وادى فاس والاستفادة منه فى سقى البساتين ، وذلك بفضل خبرة المهندس الاندلسى ابن الحاج ،فاستعملت النواعير على نطاق واسع . [٣]

ومع تولى السلطان ابى سعيد الحكم فى فاس قام بضبط أمرها، وصلح حال الناس وكثرت الخيرات ، واهتم بالمشروعات الاقتصادية فقام ببناء القنطرة الكبرى عام ٧٢٥ هـ /١٣٢٤ م والتى عليها سوق باب السلسلة فبنيت الحوانيت على جانبيها ،وبنى سوق الصباغين . [٤]

كما اهتم السلطان أبوعنان المرينى (٧٤٩-٧٥٩هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م) بتنظيم الرى بالنواعيرالتى كثرت بفاس أيام حكمه فكان بفاس وحدها ستمائة رحى تدورالماء. [٥]

لقد شهد عهد السلطان أبو الحسن المريني (٧٣١-٧٥٢هـ/١٣٣١-١٣٥١م) نشاطا عمرانيا واقتصاديا شاملا فيذكر أبو الحسن بن مرزوق التلمساني عن عمران فاس بأنه " اخبرني الفقيه الإمام نور الدين أبو الحسن علي بن فرحون اليعمري ، بأن مدينة فاس مامررت فى بلاد المغرب بسقايه ولا مصنع من المصانع التي يعسر فيها تناول المياه للشرب والوضوء فسألت عنها إلا وجدتها من إنشاء السلطان ابو الحسن رحمه الله " أما القناطر فلا يخفي فيها فقد عمل فيها الأعمال العجيبة فقنطرة وادي ردات وقنطرة بني يسيل وقنطرة الوادي بداخل فاس وهذه الأمور هي التي يشترك في الانتفاع بها القوي والضعيف والبادي والحاضر، وهذه الآثار المتعددة لم تعهد لملك قبله في سالف الأزمان فكانت من العوامل التى ساعدت على جذب السكان لمدينة فاس .[٦]

---

[١] ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص ٣٠٢

[٢] ابن ابى زرع : مصدرسابق، ص ٣٧٤ ،٣٨٤ .

[٣] ابراهيم حركات : الحياة الاقتصادية فى العصر المرينى ، ص ١٣٣ .

[٤] ابن ابى زرع : مصدر سابق ، ص ٣٩٧ ،٤١٤ .

[٥] القلقشندى : مصدر سابق جـ٥ ، ص ١٥٥ .

[٦] ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٤١٧ ، إبراهيم حركات:المغرب عبر التاريخ ، جـ٢ ، ص ١٦٢

لقد ادى اهتمام الحكام المرينيون بإقامة سدود على وادى الزيتون فى القرن ٨ هـ / ١٤ م الى تنظيم مياه الرى والتحكم فيها مما أدى الى زيادة الزراعة وتوفيرالسلع الزراعية بمدينة فاس ، كما قاموا باخضاع أهم المنافذ التجارية ، كسجلماسة التى كان أخضاعها يمثل أمرا حيويا للمرينيين على المستوى الاقتصادى بما يوفره ذلك من إمكانيات لتصريف السلع المغربية نحوالسودان وأوربا . [١]

كما عمل سلاطين بنومرين على تنظيم التجارة الخارجية والداخلية ، فقام أبو الحسن عام ٧٣٩ هـ/١٣٣٩ بعقد معاهدة سياسية تجارية مع وفد من مملكة ميورقة ، وسمح لرعايا ميورقة بالتجارة فى المغرب ، وعقد أيضا ابوعنان المرينى معاهدات مع دول البرتغال وقشتالة وأرغون وميورقة وصقلية وجنوة ، وكان لذلك أثره فى التعاملات التجارية ، ومن ثم أهتموا بالفنادق التى ينزل بها هؤلاء التجار وقاموا بالإشراف عليها وعلى الأسواق . [٢]

كما اهتم المرينيون بالمنشأت التعليمية والدينية وغيرها والتى جذبت طلاب العلم والعلماء لمدينة فاس ، فتسابق حكام تلك الدولة على انشاء المدارس والخزائن العامة ، فأنشأ السلطان يعقوب بن عبد الحق أول مدرسة بمدينة فاس عام (٦٧٩ هـ/١٢٨٠ م) وهى مدرسة الحلفاويين وأطلق عليها بعد ذلك الصفارين والحق بها خزانة كبيرة للكتب. [٣]

وكان مفضل بن محمد بن الدلاى العذرى المرى[٤] من أشرف على بنائها ، فهى تقع على مقربة من جامع القرويين. [٥] وأمربيناء المسجد الجامع عام (٦٧٧هـ /١٢٧٩ م) وقد أتسم هذا الجامع بالأمتزاج الواضح بين الفن المغربى والفن الأسبانى. [٦]

وكان للسلطان ابو سعيد المرينى فضل كبيرفى بناء المدارس حيث أمربيناء مدرسة فاس الجديد عام (٧٢٠ هـ/١٣٢٠ م) ورتب للطلبة المرتبات ، وحسب عليها الرباع والمجاشر . [٧]

---

[١] إبراهيم حركات : الحياة الاقتصادية ، ص ١٣٢ . مصطفى نشاط :جوانب من المسكوت ، ص ١٩٤.

[٢] محمدالمنونى : ورقات ، ص ١٤٣ .

[٣] ابراهيم حركات :المغرب عبرالتاريخ ، جـ٢ ، ص ١٥٦ ،١٦٢ . فيرجيليو مارتينيز اينامورادو : المعرفة والقوة والمدارس فى زمن ابن خلدون ، ترجمة محمدعبدالغنى ، المعهدالاقليمى لتنشئة البالغين، مالقة ، ص ٣٥٢ .

[٤] مفضل بن محمد الدلاى العذرى المرى من أهل المرية ، ورحل الى المغرب فولاه يعقوب بن عبدالحق النظر على صاحب الحسبة وصاحب الشرطة ، وقام بالاشراف على بناء مدرسة الحلفاويين .للمزيد ابن القاضى : جذوة الاقتباس جـ١ ، ص٣٣٩ .

[٥] ابن أبى زرع : الذخيرة ، ص ١٦٢ ، الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٨١.

[٦] محمدالمنونى : ورقات ، ص ٢٨.

[٧] ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص٤١٢.

ومدرسة جامع الأندلس عام (٧٢١ هـ/١٣٢١ م) ومدرسة العطارين عام (٧٢٣ هـ/١٣٢٣ م) إزاء جامع القرويين ، والتى تم بناؤها على يد الشيخ عبد الله بن القاسم المزوار. [١]

٢ – النمو السكاني "الديموجرافي":

أنقسمت مدينة فاس منذ نشأتها الي عدة أحياء في كل منها جماعات وقبائل متقاربة ، ومع تطور المظهر الحضاري والعمراني للمدينة تطورعددالسكان وازدادت أعدادهم وتنوعت وظائفهم في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ومنذ التخطيط العمراني الأول في مدينة فاس ، كانت عناصر السكان تتخذ مكانا معينا للسكني والتعمير.

ويذكر صاحب الأنيس المطرب [٢] حينما يذكر القبائل البربرية الواردة علي فاس للسكني والاستيطان يذكرمن جملتها: صنهاجة ولواته ومصمودة واشنخين وأصبحت منازل هذه القبائل تحمل أسماء نازليها من القبائل ، ومع مرور الأيام كونت هذه الأعلام التاريخية حارة لواتة وحارة صنهاجة وحى المصمودة ودرب أوربة المعروف الآن بالوربية وحي اشنخين. [٣]

كما أستقر العنصر العربي في مدينة فاس ، حيث أنهم وفدوا فى عهد مؤسسها العربي العلوي إدريس بن إدريس بأعداد كبيرة قدمت من بلاد افريقية والأندلس والعراق. [٤] وهاجرت العديد من بطون بنى هلال وبنى سليم إلى مدينة فاس الذين صاهروا اهل هذه المدينة وأصبحوا جزءا منها. [٥]

ويذكر " ابن صاحب الصلاة " أن باحواز فاس من عرب بني رياح وبني جشم وبني عدي وقبائلهم واعداد كبيرة يضيق بها الفضاء. [٦]

---

[١] ابن مرزوق: مصدر سابق ، ص ٤٠٥ ، الجزنائى: مصدر سابق، ص ٨١ ، السلاوى: الاستقصا جـ ٣ ، ص ١١٢، ابراهيم حركات: مرجع سابق جـ٢، ص ٤٣ ، نقولا زيادة: أفريقيات ، دراسات فى المغرب العربى والسودان العربى نشر رياض الريس الطبعة الاولى ، ١٩٩١ ، ص١١٣.

[٢] ابن أبى زرع : مصدرسابق ،٢٦،٢٧ .

[٣] ابن القاضي : مصدر سابق ، ص ١٩. وابن جعفر الكتاني : سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء بفاس ، ص ٣٥٥ . عبد القادر زمامه : معالم وأعلام من فاس القديمة ، مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث عشر ، السنة الخامسة ، يناير ١٩٦٨ ، ص ٨٥ – ٨٦.

[٤] ابن عذارى: مصدر سابق، جـ٢ ،ص٧٧ ، ابن ابي زرع : المصدر السابق ،ص ٢٩ ،٣٩

[٥] عبد الواحد المراكشي : مصدر سابق ، ص٤٤٣ وعز الدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار المغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٣ ص ٩٣

[٦] ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة علي المستضعفين ، السفر الثاني تحقيق عبد الهادي التازي ، بيروت دار الأندلس للطباعة ، ١٩٦٤ ، ص ١٤٤ .

ويقول ابن خلدون أن عرب الخلط وسقيان وبنى جابر وهم من بطون جشم وقبيلة رياح. وقد قاوم هؤلاءالعرب المرينين قبل دخول مدينة فاس فكانت لهم وقائع وحروب مع بني مرين. [١]

واختلاط القبائل العربية والبربرية في منطقة فاس واضح فيذكر "ابن الأحمر" بيت السلالجي بيتهم بيت ثروة وجاه وفقه ، وهم من العرب القسيسين ومنهم الفقيه السلالجي المتوفي بفاس٥٩٤ هـ/ ١١٩٧ م وأيضا بيت بنى الخلوف وهم عرب صنهاجيون . [٢]

ونجد أن الأندلسيين قد وفدوا علي مدينة فاس والمغرب مع كثرة الإضطرابات التي حدثت بقرطبة ومع انحلال الدولة الاموية فى مطلع القرن الخامس الهجرى /الحادى عشر الميلادى ، فرأى عدد كبير من العلماء والفقهاء من كل طبقة انه لابد من الفرار فنزل أكثرهم بمدينة فاس.[٣]

كماهاجرت جاليات أندلسية الى فاس بسقوط المدن الأندلسية الكبرى وخاصة بلنسية (٦٣٦هـ/١٢٣٨م) فمن شرق الأندلس اتجهت الهجرات الى غرناطة ، ومنها إلى المغرب وخاصة فاس. ومن أهم من سكن مدينة فاس من هذه الجاليات الأندلسية بيت بنى الآبار وأولاد الزريعى . فالأندلسيون كان لهم دور فعال فى مجالات شتى ومنها الزراعة حيث نقلوا العديد من الحاصلات الزراعية إلى المغرب كغرس أشجار الزيتون ، وأشجار التوت التى أعتمدوا عليها فى تربية دودة القز وأنواع عديدة من الفاكهة كالعنب والتين والتفاح والخوخ . [٤]

كما تفوقوا فى تخطيط البساتين وساهموا فى تطوير بعض التقنيات الخاصة بالرى ، فكانت أول ناعورة بفاس لتنظيم الرى بواسطة المهندس الاندلسى أبو عبدالله محمد بن الحاج الأشبيلى (ت ٧١٤ هـ/ ١٣١٤ م) وذلك فى عهد السلطان ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى .

---

[١] ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ ٦، ص ٢٧ .

[٢] ابن الاحمر: بيوتات فاس ، ص ٤٤ ،٤٥ ، ٤٨ ، المغربى : الجمان فى اخبار الزمان ، ص٢٠٣ .

[٣] المقري : أزهار الرياض في اخبار عياض ، تحقيق مصطفي السقا وآخرون ، القاهرة مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٩ ، جـ٢، ص٣٩١ وللمزيد انظرابن عبد الملك المراكشي : الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، السفر الأول القسم الأول ، ص ٢٤١ ، ٢٦٨، ٣٦٧ ،٣٧٠. ابن خلدون : مصدر سابق ، جـ٦ ،ص ٣٨٢ .

[٤] ابن خلدون :العبرجـ٦ ، ص ٧١١ .الكتانى: مصدر سابق ، جـ١ ،ص ١٩٠ ،٤٦٧ ،أمل ربيع اسماعيل:الأندلسيون فى المغرب الاقصى فى عصر بنى مرين (٦٦٨ ـ٨٦٩ هـ / ١٢٦٩ ـ ١٤٦٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م ، ص ١٠٨ .

وعملوا فى تقطير عصارة الزهور وتزويقها لاستخراج العطور. [1] هكذا أحدث الاندلسيون رواجا اقتصاديا باستقرارهم فى هذه المدينة كان تاثيره واضحا فى ازدهار أسواق هذه المدينة .

ومن العناصر السكانية التي نزحت الي مدينة فاس وكانت أعدادهم كثيرة العنصر السوداني، وقد تصاهرهذا العنصرمع السكان الموجودين بالمدينة ، واستخدموا فى البلاط الملكى فكانوا يقومون بالطهى وعمل الحلوى وأستخدموا كجوارى لجمالهن.[2]

كما وجدت عناصرمن الأتراك بمدينة فاس نزحوا منذ عهد الخليفة الموحدى ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن عام (٥٧٤هـ/ ١١٧٨ م). [3]

والراجح أن أعداد السكان بهذه المدينة قد كثرت فى العصر المرينى عن العصور السابقة لهذا العصر، خاصة بعد أن أتخذها المريينيون حاضرة لدولتهم ، بالإضافة الى التوسع العمرانى لهذه المدينة فى هذا العصر الذى شهد بناء فاس الجديد والملاح وربض النصارى . فتوافد العديد من الأسر المغربية من كافة المدن للاقامة بها يشدهم الى ذلك فرص العمل فى الإدارة أو فى كافة الأنشطة السياسية . وجدت العديد من الأحياء الخاصة بالسكان بمدينة فاس ومنها :- حي اشنخن عالم بربري قديم سمي به هذا الحي من أحياء فاس منذ عهد التأسيس ، ونجد ذكره عند مؤرخي فاس الذين اهتموا بترجمة أعلام فاس ومعالمها ، وقد عرفه المؤرخون القدامي فأننا نجده علما علي قبيلة بربرية ، دخلت مع القبائل البربرية الأولي مدينة فاس للسكني بها منذ عهد التأسيس ، فسكنت هذا الحي بالذات وحمل هذا الاسم عدة قرون . وموقع حي اشنيخن الآن من مدينة فاس فهو ما يجاور جامع الأندلس العتيق جهتي الشرق والشمال ، كما إن المدرسة المرينية المعروفة بمدرسة الصهريج تقع فى هذا الحي وأيضا باب الجنائز من مسجد الأندلس . وتجاور قبيلة مصمودة هذا الحي من الشرق ، وقبيلة صاريوه من الشمال كما يوجد في فاس حي يسمي حي "ازقور" وأيضا يوجد حي صاريورية وهو اسم بربري وسكنه في البداية بني بازغة ، وسميت منازلهم باسمهم وهو مسمي الآن بحي "القليعة" ويوجد به زاوية تحضريت المرينية وسوق الجزارين ، كما ضمت فاس عدة أحياء أخري مثل حي الجيزبين علي اسم قبيلة بهذا الاسم وحي الكغاطين الذى اشتهر سكانه بضاعة الورق ، وحي اغلان الذى سكنته الطائفة اليهودية منذ التأسيس.[4]

---

[1] البكالى :الاكتفاف الوجيز ، ص ٦٤ ، أمل اسماعيل : المرجع السابق ، ص ١١٠ ،١١١.

[2] البكرى: مصدرسابق ، ص ١٥٨ ، مجهول :الاستبصار ، ص ٢١٦ ، ابن عذارى : مصدرسابق، ص ٢٣ . حسن علي حسن : الحضارة الاسلامية فى المغرب والاندلس، ص ٣٢٢.

[3] ابن خلدون: مصدرسابق جـ٦، ٣٧١.

[4] عبدالقادر زمامة : مرجع سابق ، ٨٦ ، ٨٨، صاريوه من القبائل البربرية التي سكنت فاس منذ عصر التأسيس

وبلغت مدينة فاس من العمارة والرفاهية مالم تبلغة مدينة من مدن المغرب في العصر المريني . فاذا كان الاحصاء الذى تم فى عهد المنصورالموحدى وولده محمد الناصر ذكر أن عدد مساجدها سبعمائة وخمسة وثمانون ودور الوضوء اثنان وأربعون والسقايات ثمانون والحمامات ثلاثة وتسعون ، وأرحى الماء أربعمئة واثنتين وسبعين ، ودور السكنى تسعة وثمانون ألفاً ومئتين وسته وثلاثين والمصارى تسعة عشر الفاً وإحدى وأربعين ، والفنادق أربعمئة وسبعة وستين ، والحوانيت تسعة الاف واثنتان وثمانون ، وقيساريتان ، واحدة بكل عدوة منهما، وداران للسكة واحدة بكل عدوة منهما والترابيع والأطرزة ثلاثة الأف وأربعة وستون ، ودور الصباغ مئة وست عشرة دارا ، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتى عشرة ، وكوش الجير مئة وخمس وثلاثون وأفران الخبز الف ومئة وسبعين. [1]

ومن خلال احصاء مساكن مدينة فاس من (ديار ومصريات *) والتى بلغت تسعة وثمانين الف ومئتى وست وثلاثين دارا ، وتسع عشرة ألف ووإحدى وأربعين مصرية ، يوضح لنا عدد سكان فاس والذى وصل آنذاك الى حوالى أكثرمن ٢٠٠ الف نسمة ، فى عهدالموحدين فإن العدد زاد فى عهد المريينين ، فيبين لنا هذا التكدس السكانى فى مدينة فاس فى هذا العهد ، وبالتالى زيادة النشاط الاقتصادى بها من زراعة وتجارة وصناعة ، وازدهار الأسواق لارتباطها بهذه الأنشطة الاقتصادية.[2]

لقد أزدحمت مدينة فاس بالسكان الذين تنوعت أنشطتهم طوال العصر المريني وبعد انتهاء هذا العصر، فيذكر الوزان ان مدينة فاس في مستهل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي كانت تعج بالنشاط والسكان ، وكانت كثافة السكان عالية جدا لدرجة أنه أستحدثت مساحات عديدة خارج الأسوار وشيدت بها بعض المباني ، وخاصة في الجانب الشمالي الغربي من المدينة القديمة (فاس البالي). [3]

وانتشرت المدارس المرينية بمدينة فاس وبلغ عددها إحدى عشرة مدرسة ، فاهتم الحكام بالحياة الثقافية فبنى أبو يوسف يعقوب (٦٥٦- ٦٨٥هـ /١٢٥٨-١٢٨٦ م) مدرسة الحلفائيين عام

---

[1] ابن ابى زرع : الانيس ، ص ٤٧ ،٤٨ ، الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤.

* المصرية: هى دويرة تبنى فوق الحوانيت ، وهو نوع من المنازل كان معروفا بمصر وانتقل الى المغرب ، للمزيد انظر الجزنائى : مصدر سابق ، ص ٤٤.

[2] ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص٤٧ ،٤٨ ، الجزنائى : مصدرسابق ، ص ٤٤ ، محمد الطويل: مرجع سابق ، ص ٦١

[3] دائرة المعارف الاسلامية : مصدرسابق ، ص٧٦٨٩.

(٦٧٥هـ/١٢٧٦ – ١٢٧٧ م) ومدرسة فاس الجديد والتى بناها أمير المسلمين أبوسعيد عثمان بن عبد الحق المرينى (٧١٠-٧٣١هـ/١٣١٠-١٣٣١ م) وامر ببنائها عام (٧٢٠هـ/١٣٢٠ م). [١]

فساعد الأزدهار العلمى من المدارس والجوامع بفاس الى جذب طلاب العلم من خارج مدينة فاس كل هذا أدى الى زيادة السكان بالمدينة فعمل ذلك على خلق حاجات جديدة لهم فى الأسواق.

وقد أعان على زيادة سكان مدينة فاس أن هذه المدينة لم تكن مدينة تجارية وصناعية فقط ، وإنما كانت مدينة للعلم والثقافة والذى ازدهر مع بناء العديد من المدارس فى فاس العتيقة والجديدة ، وقد استمرهذا الوضع المتميز لمدة ثلاثة قرون حظيت فاس خلالها بالازدهار السياسي والاقتصادي والفكري بين سائرمدن بلاد المغرب. كما كانت لها علاقات اقتصادية وثقافية مع بلدان جنوب الصحراء الغربية حتي النيجر . [٢]

كما كانت فاس مدينة جذب سكانى بفضل مسكانها وجوامعها التى انتشرت فى كافة ارجاء هذه المدينة اذ كانت تتناسب مع عدد السكان ، فوجد بها حوالى سبعمائة جامع ومسجد ، ومن بين هذه الجوامع خمسون كبيرة حسنة البناء وبالرغم من المبالغة فى هذا الرقم فأن من أهم هذه الجوامع جامع القرويين والذى وضع اساسه عام ٢٤٥هـ/٨٥٩ م ، وجامع الأشراف وجامع الأشياخ ، وجامع السوق الكبيروجامع الحمراء وجامع أبى الحسن المرينى ، وكانت بفاس اوقاف لهذه الجوامع خاصة لجامع القرويين الذى كانت له ارض زراعية موقوفة ، ومن ايرادتها عمل الحكام المرينيون على صيانة الجامع وبناء خزانة للكتب به. [٣]

وكان الازدهار الحضاري والفنون المعمارية في فاس دليلا علي أحوال السكان ونشاطهم فمع اتساع إحياء المدينة وتعدد أنشطة السكان فكانت المدينة تنطق بالتطور السكاني والتطور العمراني معا

فيذكر الوزان : أن بيوت فاس مبنية بالأجر[٤] وبحجارة جيدة النحت ، وأكثر هذه الحجارة بديعة ومزدانة بفسيفساء جبلية ، وصحون البيوت ودهاليزها مبلطة ببلاط مربع قديم مختلف ألوانه ، علي هيئة الأواني المايورقية.

---

[١] الوزان: مصدرسابق، ص٢٢٥ . حسين مراد : مرجع سابق ،ص٨٤ ،٨٥.

[٢] دائرة المعارف الإسلامية: مصدر سابق، ص٧٦٨٩ – ٧٦٩٠.

[٣] الوزان: مصدر سابق جـ١ ، ص ٢٢٣ ، حسين مراد : مرجع سابق ص ٤١ــ٤٧.

[٤]الأجر: هو اللبن المحرق المعد للبناء. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، محمد عمارة ، دار الشروق، الطبعة الأولي ١٩٩٣– ١٤١٣هـ ، ص ٢٣.

والمألوف هنا أن تطلي السقوف بألوان زاهية وبهية من طلاء لازوردي وذهبي والسقوف مصنوعة من الخشب وهي أفقية تتألف كل البيوت تقريبا من طابقين والقليل منها ثلاثة لكل طابق شرفات كثيرة الزخرف والميسورين من أهل فاس يصنعون مصاريع لأبواب بيوتهم من خشب جميل للغاية ومنقوش بشكل متقن ، ودهاليز هذه البيوت قائمة فوق أعمدة من آجر مكسوة حتي منتصف ارتفاعها بالمايورقي وتري من بعض البيوت أعمدة من رخام .[١]

٢ -الازدهار الحرفى والصناعى

ازدهرت أسواق مدينة فاس مع الازدهار الاقتصادي ذلك الازدهار الذى تحقق بفضل نشاط سكان فاس الزراعى بالاضافة إلى نشاطهم الحرفى والصناعى ، فكانت الزراعة جيدة ومتميزة من حيث تعددالمحاصيل ووفرتها ، كماكانت الصناعة بارزة في هذا المجتمع الذي انتج صناعات جيدة لسداحتياجات السكان والفائض منها كان يصدر خارج فاس .أما الحرف فأن فاس امتازت بنشاط حرفي واضح حيث اهتم السكان بالعمل في الحرف المختلفة التي انتشرت منتجاتها فى أسواق فاس .[٢]

ويذكرابن ابي زرع "أن لفاس من المحرث العظيم سقيا وبعلا علي كل جهة ماليس هوعلى مدينة من مدن المغرب ، وعليها المحطب في جبل بنى بهلول الذي في قبلتها يصبح كل يوم علي أبوابها من احمال حطب البلوط والفحم ما لا يوصف كثرة ، ويخرج من نهر فاس أنواع من السمك مثل البوري والسنياخ والبوقة ، والشابل وغيرها ويدخل فيه الحوت – السمك – الكثير ويتصيد في بعض الأحيان البوري الكثير ، ويصل إلي المدينة الحوت الكبير المسمي عندهم "القرب" ويحمله الحمار إلي السوق".[٣]

أما الحرف في فاس فقد ازدهرت بفضل وجود منطقتين صناعيتين فى هذه المدينة الاولى المنطقة الصناعية التى تقع شرقا علي طول النهر من منعطف رحبة التبن إلي مخرجه من المدينة حيث دور الدباغة ، ومعامل النساجين والخرازين والشراطين الخ ، كما توجد المنطقة الصناعية الثانية شمالا من بوجلود إلي وادي زهون ، مع دار دباغة ومعاصر الزيتون ومناشر الخشب ودور صابون وطاحونات ومعامل حياكة .[٤]

---

[١] الوزان: مصدر سابق، ص ٢٢٨، ٢٣١. العمري: مصدر سابق، ص ١٩٤ ومحمد المنوني: وصف المغرب، ص ١٤٠ – ١٤١.

[٢] الجزنائى : مصدر سابق، ص ٣٦ .

[٣] الأنيس المطرب ، ص٣٣ – ٣٦ . مارمول : مرجع سابق جـ ٢ ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

[٤] روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية جـ ١ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ .

وقد ساعد علي قيام الصناعة بمدينة فاس هو وجود المواد الخام اللازمة للصناعة فنجد صناعة النسيج حيث توجد بالمدينة أسواقا للقطن والكتان وزقاقا خاصا بمحلات الحياكة وكان لتوفر الكتان أثره في ازدهار صناعة النسيج الكتاني ، الذي كان له أماكن خاصة بالمدينة كما وجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنيها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين . [١]

وازدهرت صناعة النسيج من القطن ، مثل الأشرطة والشركات التي تعلق بالركابات علي صدور الخيل مع السروج ووجدت حرفة الخياطة وتبيض الخيط في درب القطان ، وسوق القطانين وكان لهما شهرة كبيرة في فاس .كما كانت صناعة الحرير بفاس كبيرة. [٢]

فكان بفاس مائة وواحد وأربعين دارا خاصة بالغزل وساعد على ذلك توافر الصوف اللازم عن طريق الرعاة حيث كانوا يقومون بتربية الأغنام ، وكانت العمليات الأولية السابقة للغزل تقوم بها النساء في المنازل ووجدت صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التي كان يتم تبطنيها واستخدمت لتغطية الشوارع وصحون المساجد من أشعة الشمس كما يوجد في جامع القرويين . [٣]

ـ ولوفرة القطن والكتان اللازمين لصناعة الورق ازدهرت هذه الصناعة حيث وجد بمدينة بفاس مائة وأربعة معملا لعمل الورق . وعملت المرأة بمدينة فاس بالمشاركة في صناعة الورق (البسطلية) ومع قيام صناعة الورق قامت عدة صناعات أخري منها صناعة التسفيرأو التجليد ، والنسخ التي قام بها عدد كبيرمن الفقهاء والعلماء في فاس.[٤]

---

[١] ابن أبي زرع : مصدر سابق ، ص ٦٣ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ١٧١ ، ١٨٤ ، مارمول: مصدر سابق، جـ٢، ص ١٥٢.

[٢] مارمول : المصدر السابق جـ ٤ ، ص ١٤٩ ،١٥٠.

[٣] الإدريسي : وصف أفريقيا الشمالية ، ضمن نزهة المشتاق في اختراف الأفاق منشورات المعهد الجامعي الشرقي ، ايطاليا ، ص ٣٧. احمدعبدالرؤوف : رسالة في الحسبة والمحتسب ضمن الثلاث رسائل أندلسية ، ليفي بروفنسال ، منشورات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ١٩٥٥ ، ص ٨٧،الجزنائي : مصدر سابق، ص ٩٦ ، الوزان: المصدر السابق ص ١٧١،ابن عيشون الشراط : الروض العطر بأخبار الصالحين من اهل فاس ، تحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدارالبيضاء ، ط١ سنة ١٩٩٧ص٩٧ ،عبد العزيز الطوي: صناعة النسيج في المغرب الوسيط ، مجلة كلية الآداب ، فاس ، ١٩٨٥ ، ص ٥٣ .

[٤] ابن القاضي : مصدرسابق، ص ١٦٩. المقري : أزهار الرياض مصدر سابق ج ٢ ص ٣٧٩ . محمد المنوني : الوراقة المغربية ، مجلة البحث العلمي ، العدد ١٦، السنة السابعة سنة ١٩٣٠ ص ٤٠، عبدالهادي النازي: جامع القرويين جـ ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان المجلد الأول، الطبعة الأولي، ١٩٧٢، ص١٤٥.

كما قامت العديد من الصناعات علي الانتاج الزراعي مثل طحن الغلال ، وذلك لوفرة القمح والشعير والمياه مما أدي الي وجود عدد كبير من الارحاء بالمدينة فوجدت بفاس اربعمائة واثنين وسبعين رحي وكانت احجارها طاحنة . ومع طحن الغلال ازدهرت صناعة الخبز فبلغ عدد الأفران في مدينة فاس ألف ومائة وسبعين فرنا . [1]

ولقرب مدينة فاس من الأراضي المزروعة بالزيتون ، كانت احمال الزيتون تتجه الي فاس يوميا فقامت صناعة زيت الزيتون . وازدهرت صناعة الصابون فوجدت سبعة وأربعين دارا لصناعة الصابون . [2]

وقامت صناعة ماء الورد بمدينة فاس لشهرتها بأنواع كثيرة من الأزهار لاتوجد في غيرها من البلدان الرند والياسمين ، والأزهار العطرة والرياحين وأنواع أخري من الورد مما ساعد علي ازدهار صناعة ماء الورد . [3]

ولكثرة الثروة الحيوانية بفاس قامت الصناعات الجلدية ، مثل أكياس النقود والأحزمة الجلدية كما كان الإسكافيون يصنعون أحذية مطرزة ، والأخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحرير . [4]

واشتهرت صناعة دبغ الجلود وأقيمت خارج المدينة بجانب مجاري المياه وبلغت دور الدباغة ثمانمائة وستون دارا ووجدت مائة وستة عشر دارا للصباغة ، وذلك لتوافر الأنهار التي كانت تحتاج اليها الصباغة ويسمع في الأحياء الصناعية من الزقاق الصوت المخنوق لمشط الحائل الذي يدق الثوب اوالضربة الخاطفة لمدق الخرازين وصانعي الأدوات الجلدية اوالغناء المتوازن للمطارق على سندان الحدادين أوضجة النحاسين أو خرير أرحاء الحبوب وأحيانا تكون الرائحة هي المخبرة : من أريج الدقيق الطري الحاد الي الفطرالفائح للزيتون الذي يسيل زيته ونتانة الدباغة المنتشرة في الأزقة

---

[1] ابن ابى زرع : مصدر سابق ، ص ٤٨ . الجزنائى : مصدرسابق ، ص ٤٤ ، ابن الخطيب: مصدرسابق ، ص ١١١ .

[2] العمري: مصدر سابق، ص ١٤٢ ،١٤٣ . القلقشندى: مصدر سابق جـ ٥ ، ص ١٧٥، عزالدين موسى: مرجع سابق، ص ٢٣٩.

[3] العمري: مصدر سابق ، ص ١٣٩ ، ابن غازي: مصدر سابق ، ص ٧.

* وقد أوضح الطغنرى وصف صناعة ماء الورد ، ومقايسة وطريقة التحضير وحفظ الإنتاج ، وتطييبه بالمسك أوالشب أوالكافور، ونسيت هذه المواد التى تستخدم لذلك ، وللمزيد انظر،عز الدين موسى: مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

[4] ابن ابى زرع: مصدرسابق ، ص ٤٨ – الجزنائى : مصدرسابق ، ص٤٤ ، روجيه لوطورنو:فاس قبل الحماية، ص١٨٦،١٨٧.

المجاورة وفي الغالب يشاهد الصناع وهم يشتغلون في دكاكينهم الصغيرة المفتوحة علي الزقازيق ، وقد يتفق لهم حتي التطاول علي الطريق العمومي كالخياطين أو نساجي الحريرأو الاسكافيين . [١]

وشهدت فاس تقدما واسعا فى الصناعات الخشبية ، فمع وفرة الأشجار قامت صناعة السفن الصغيرة التى كانوا يستخدمونها فى فاس للصيد فى نهر سبو، وقاموا بعمل النوافذ والأبواب والمنابر والمقصورات بالمساجد والمنازل وأثاث وتحف زخرفيه ، وصناعة المكاييل الخشبية لكيل القمح والحبوب ، وصناعة المزامير والاربية. [٢]

وبتوافر النحاس الأصفر، والحديد فانتشرت صناعة الأدوات الحديدية، والنحاسية فكان النحاس والحديد يتم استخراجهم من معدن قرب فاس يسمى معدن عوام الشهير ، فقاموا بصناعة المخروطات النحاسية ، ووجد بفاس اثنتاعشرة دارا لصناعة النحاس والحديد . [٣]

ومن أشهرالمصنوعات الحديدية التى كانت تباع فى أسواق فاس المسامير والسكاكين والسيوف وركاب الخيل وأدوات الخياطة ، وأدوات عسكرية ومدنية ارتبطت بها أعمال النجارة والبناء فاستخدموا الحديد فى صناعة قنابل كبيرة استخدموها فى حروبهم ، وكان بفاس فى القرن ٨هـ/١٤م صناع اختصاصيون فى الآلات النارية . [٤]

ومن الصناعات التى انتشرت الصناعات الفخارية فكان بفاس مائة وثمانية وثمانين معملا لصناعة الفخار خارج نطاق السور ، وأيضا الصناعات الزجاجية حيث كان بها " مصنعا لعمل الزجاج" وكانت تتم في معامل تحت الأرض لكي لاتتأثر الصناعة بالريح والغبار وتتم بعدوه الأندلس بفاس ، وضع منها قوارير للزجاج التي كانت توضع في أول الليل وأخره بمسجد القرويين . [٥]

ويذكر ابن ابي زرع أن حوانيت الصناع والحرفيين في فاس كان عددهم تسعة ألاف واثنين وثمانين حانوتا وقيساريتن ، أحدهما بعدوه القرويين والثانية بعدوه الأندلس ، بالاضافة الى الترابيع

---

[١] البيذق: مصدر سابق ، ص ٢٤ ، ابن ابى زرع : مصدر سابق ، ص ٦٠ ،٦٥ الجزنائى : مصدرسابق، ص ٥٥ مارمول : مصدر سابق جـ ٢ ، ص ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٣.

[٢] مارمول: مرجع سابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٤،١٥٣، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب فى عهد الموحدين ، المجلد ٦، ص٢٩.

[٣] مجهول : الاستبصار مصدر سابق ، ص ١٨١ . الحميري : مصدر سابق ، ص ٤٥٣ . ابن ابى زرع : مصدر سابق ص ٤٨ الجزنائى: مصدرسابق ، ص ٤٤.

[٤] الوزان: مصدرسابق، ص١٨٤ . محمد المنونى : أبحاث مختارة ، صناعة الاسلحة النارية بالمغرب، منشورات وزارة الشؤون الثقافية ص٢٤٧،٢٤٦ .

[٥] الجزنائي: مصدرسابق ، ص ٤٤ ، ٦٨ . مارمول : مصدر سابق جـ ٢ ص ١٥.

والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة فكانت ثلاثة ألاف موضع وأربعة وستون ، وسبع وأربعون دارا لصناعة الصابون ، ومائة وخمس وثلاثون كوشة لعمل الجير وطفيه ، وكان بها من الأفران فى جهاتها وأزقتها ألف ومائة وسبعون فرنا .[1]

لقد مثلت الصناعة والحرف اليدوية فى فاس فى عهد دولة بنى مرين نشاطا من الانشطة الاقتصادية المهمة التى ساعدت فى عمران الأسواق وامدت سكان المدينة بحاجاتهم زمن الدولة المرينية .

وقد ازدادت تلك الحاجات مع تبحر عمران المدينة ، ومما ساعد على ازدهار الانشطة الاقتصادية أن الموحدين خلفوا للمرينيين قاعدة صناعية كبيرة تحدثت عنها مصادر التاريخ . [2] لكن الصناعة ازدهرت في مدينة فاس فى العصر المريني عما كانت عليه في عهد الموحدين ، بعد أن أصبحت حاضرة لتلك الدولة بالإضافة الى اتساع العمران حول فاس القديمة، ببناء فاس الجديد أو المدينة البيضاء وحي الملاح. ومما لاشك فيه أن ذلك الازدهار الصناعي كان بسبب وفرة المواد الخام اللازمة للصناعة مثل الحديد والنحاس والفضة وغيرها من المواد الخام الزراعية والرعوية والغابية ، كما توفرت المواد الخام التي تدخل في صناعة مواد البناء مثل الجبس والصلصال وأنواع الحجارة وأنواع الرمال ، كما كانت هناك الأصداف الثمينة المستخرجة من نهر فاس والتي استخدمت في صناعة أدوات الزينة. [3]

والي جانب توفر المواد الخام توفرت الخبرات اللازمة للازدهار الصناعي ، وقد اكتسب صناع فاس فى العصر المريني خبرات عديدة من رصيد الخبرة الكبيرة الذي كان في عصر الموحدين، بالاضافة إلى الصناع الأندلسين الذين أقاموا فى هذه المدينة، وازدهرت حرف دقيقة في فاس في عصر بني مرين مثل صناعة الساعات والإسطرلابات. [4]

٤- المنشآت التجارية :

أسهم تطور الأنشطة الاقتصادية فى فاس خاصة الزراعة والرعى والتعدين بالاضافة الى الحرف والصناعات فى انتعاش الحركة التجارية فى هذه المدينة وأعان على هذا الأنتعاش وجود العديد

---

[1] ابن ابى زرع : مصدرسابق ، ص٤٨ ،٤٩ .

[2] الجزنائى: مصدرسابق ، ص ٤٢ .

[3] الجزنائى: مصدر سابق ، ص ٤٢.

[4] محمد عيسي الحريري: مرجع سابق، ص ٢٨٤ – ٢٨٧ .

من المنشآت التجارية لاستقرار التجار الغرباء ، وشملت هذه المنشآت العديد من الفنادق والقيساريات ، التى اعدت لأقامة هؤلاء التجارمع تخزين سلعهم وبيعها .

وانتشر الخان بالمغرب الأقصى فهو يتالف من صحن مستطيل الشكل تحف به أربعة أروقة تشتمل على حجرات وللأروقة اهميتها حيث أنها تظل التجار والحيوانات والبضائع حتى لايبقوا فى العراء والطابق الأرضى يخصص للمتاجر والإسطبلات ، والخان يشتمل على حجرات للضيوف، وكذلك مخازن تجارية فالخان وظيفته التخزين والبيع ومأوى للتجار الغرباء ، والخان لفظ فارسى وتركى وبالفارسية يعنى الحانوت ، أما بالتركية دار العمل والتجارة .[١]

ومن المنشأت التجارية الفنادق وهى كلمة فارسية وتعنى الخان أيضا ، وأقيمت خصيصا للتجار الأجانب . [٢]

وقد كثرت الفنادق فى مدينة فاس لاستقبال العدد الكبيرمن التجار الموجدين بها ويصفها الوزان قائلا " تحوى فاس مائتي فندق فخمة البنيان للغاية فبعضها يكون فسيحا ، مثل التى تقع بجوار الجامع الكبير وتتألف كلها من ثلاث طوابق ، ويحوى بعضها مائة وعشرين غرفة والبعض أكثر من ذلك" .[٣]

ومن أشهر فنادق هذه المدينة فندق الشماعين ، وفندق الملجوم ، وفندق الغرباء، وفندق الحدودي وفندق التجار، وفندق الزيت ، وفندق الرضاع وفندق خنوسة وابن حيون، ويوجد فندق كبيرللأسري المسيحيين يصنعوا فيه أدوات من الحديد ويوجد بفاس الجديد وفندق التطاونين الذي يقع تجاه الجدار الشرقي لجامع القرويين، فمعظم هذه الفنادق وجدوا بجوار الجامع الاعظم بفاس الجديد ، وجامع القرويين. [٤]

---

[١] ليوبولدو توريس بلياس:الأبنية الإسبانية الإسلامية ، تعريب علية ابراهيم العنانى، مجلة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية ، مدريد العدد الاول ، السنة الاولى ، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣ ، ص ١١٨ .

[٢] رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الاسلامية فى مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ،الطبعة الاولى ، ١٤١٣ هـ/١٩٩٣ ، ص ٤٣ ٤٥ .

[٣] الوزان: مصدر سابق، ص ٢٣٦ ، ويتحدث عن الفنادق التى تحولت بعد ذلك فى القرن الخامس عشر الميلادى الى اماكن للخلاعة ، ولم تنجو من ذلك غير الفنادق القريبة من الجامع .

[٤] ابن ابي زرع : مصدر سابق ، ص ١٠٥ ، ١٧٦ ، مارمول : مصدر سابق ، ص ١٥٧، روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص ١٩٩.عبد الوهاب الدبيشي: توزيع المرافق الاقتصادية بفاس المرينية ، كلية الآداب ، الدار البيضاء، القسم الثاني ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ م، اعمال ندوة التجارة وعلاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، ص ٤٥.

أما القيساريات فهى جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أوفناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.[١] ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .[٢]

وتضم القيسارية خمسة عشرة سوقا وكل سوق يختص بنوع معين من السلع ، مثل سوق الحائكين والكتان وثياب الحرير ، وسوق القطن البالي والمفصل الجديد وتطريز الحرير، وسوق العطارين وسوق يبيع الإبرة والخيطة ، وسوق الغزل والخضر واللحم ، وسوق الحريرالغيرمنسوج وسوق الحناء وسوق الغاسول، وسوق بيع أعشاب الأدوية ، وسوق بيع المعاجين والترياقات وسوق الشرابيل.[٣]أما القيساريات فهى جمع قيسارية ، وتتكون من بناء مربع أو مستطيل المساة بوسطة صحن أوفناء سماوى يدور حوله الحوانيت وله عدد من المداخل، والقياسر مصطلح لاتينى مشتق من اسم قيصر أو قيصرية ويعنى سوقا صغيرة وتحرف الاسم الى قيسارية.[٤] ويرى البعض أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق .[٥]

وقد وصف الوزان قيسارية فاس بأنها عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار تحتوي علي اثني عشر بابا ، وتضم خمسة عشر حيا ، وأوضح أن كل مدخل للأبواب يعترضه سلسلة وذلك لكي تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها .[٦]

ولم تكن القيسارية تتكون من حوانيت فقط إذ كانت تقوم الي جانب هذه مخازن يسمي واحدها فندق ويتم تخزين السلع بها ، وبيعها بالمزاد العلني علي مقربة من القيسارية .[٧]

---

[١] رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ،٣٩ .

[٢] احمد الطوخي:القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص٦٧، ٦٩ .

[٣] مجهول : مخطوطة ذكر قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلدين ، تحقيق نوال عبدالعزيز :ضمن علاقات المغرب الاقصى الخارجية فى عهد بنى وطاس ٨٦٩-٩٦٢هـ/ ١٤٦٥-١٥٥٤م ، رسالة دكتوراة غيرمنشورة بمعهدالبحوث والدراسات الافريقية ١٩٩١ ،ص ٢٤٦،٢٤٧ الونشريسى: مصدر سابق ، جـ٣،ص ١٥٧ ،٢١٧ . محمد رابطة الدين: قيسارية مراكش الموحدية ، كلية الآداب ، مراكش ص ١٥ .

[٤] رفعت محمد: مرجع سابق ، ص ٣٧ ،٣٩ .

[٥] احمد الطوخي:القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس ، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ، العدد ٢٢٨ سنة ١٩٨١ ، ص٦٧، ٦٩ .

[٦] الوزان: مصدر سابق ، ص ٢٤٥ ، احمد الطوخي : مرجع سابق ، ص ٨٧ – ٧٩ .

[٧] روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين ، ص ٤١ .

وبفاس يوجد نحو ثلاثين دكانا للعدول وثلاثين دكانا للكتبيين ، ومائة وخمسين دكانا لبائعى الأحذية وخمسين دكانا للخرازون ونحو خمسين دكانا لبيع الفاكهة ، وباعة الشمع والأزهار وبلغ عدد دكاكينهم نحو عشرين دكانا وباعة اللبن حيث يباع يوميا فى فاس خمس وعشرون بطة من اللبن الطرى والحامض. [١]

ومن ثم نجد بائعى القطن وبلغ عدد دكاكنيهم ثلاثين وبائعى الملح والجبص ، والاوانى الخزفية والذين بلغ عددهم مائة دكان ، وبائعو السروج والركابات والأحزمة بلغ عدد دكانينهم نحو ثمانين دكانا، وكانت تقع معظم هذه الدكاكين حول مسجد القرويين وبالقرب منه . [٢]

ووجد عدد كبير من الأسواق دخل مدينة فاس منها سوق الخضر حيث يباع الكرنب ونوع من اللفت وسائر الخضر ويضم هذا السوق نحو أربعين دكانا ، وتقوم حول الساحة دكاكين تباع فيها الشعرية.[٣]

ومن ثم ياتى سوق الدخان حيث تباع الفطائر المقلية فى الزيت ، وسوق الزيت والسمن والعسل والجبن الطرى والزيتون والمال والليمون الحامض والجزر ، وسوق الجزارين والذى بلغ عدد دكاكنيهم نحو أربعين دكانا ، وبعد ذلك نجد سوق الأقمشة الصوفية الغليظة ويضم نحو مائة دكان ، وسوق الكتان وهو بناء كبير تحيط به أربعة أروقة فى أحدهم باعة نسيج الكتان ، وباعة الدقيق وباعة التبن ويشغلون نحو عشرة دكاكين ، وسوق الدخان وصانعى الدلاء الجلدية ويشغلون نحو أربعة عشر دكان وصانعى الظروف التى يخزن بها الملح والدقيق ولهم نحوثلاثين دكانا ، وسوق التجار وهو شبه مدينة صغيرة له أثنا عشر بابا . [٤]

فأسواق فاس كانت تزخر بتعدد أنواع البضائع التى تجلب اليها، وجنسيات متعددة من التجار فيشير الجزنائى لذلك "ليس من أهل بلد ولا أقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف، فقد اجتمع فيها ما ليس فى مدينة من بلدان الدنيا . [٥]

وبجانب الأنواع السابقة توجد أسواق أخرى اتخذت شكلا هندسيا رباعيا بالقرب من الأسواق المركزية وعرفت بالتربيعة ، وهى مكان صغير محاط بدكاكين ، حوانيته معلقة وسط فناء عار ،

---

[١] الوزان : مصدر سابق ، ص ٢٣٣-٢٣٥ .

[٢] الوزان : مصدر سابق ، ص٢٣٥.

[٣] الوزان : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

[٤] الوزان : المصدرالسابق ، ص ٢٣٨-٢٤٠

[٥] الجزنائى: مصدر سابق، ص ٣٩.

وكانت قريبة من سوق العطارين ومنها تربيعة القرافين والحايك والسلهام والحنبل ، ووجدت الرحبة والتى تعتمد على المكاييل فى أوزانها ومن أمثلتها رحبة الزرع ، ورحبة الأعواد ، وزريبة الخشب و رحبة القيس والبركة (سوق العبيد). [1]

ومن خلال العرض لعدد الأسواق والقيساريات بمدينة فاس نجد أن المدينة ضمت عددا كبيرا من الأسواق لجميع أنواع السلع التجارية وكل ذلك ساعد على سد احتياجات السكان اليومية .

٥ – الطرق والمواصلات :

قام بعض السلاطين المرينيين منذ عهد ابى بكر ، وأبى الحسن المريني بإجراءات لتأمين المسالك والطرقات ، فأمروا بإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وعملوا علي إقطاع العاملين علي ذلك مكافآت لهم . [2]

وقد انقسمت الطرق الي طرق داخلية وطرق خارجية أما بالنسبة الي الطرق الداخلية فقد أنقسمت الي طرق برية وطرق نهرية : –

فالطرق النهرية استخدمت في النقل حيث قام أبوعنان بإقامة دار للصناعة لصناعة المراكب بمدينة فاس ، فكانت تسير في نهر سبو واستخدم النهر لنقل أخشاب الأرز الي فاس . [3]

أما بالنسبة للطرق البرية ، فهي تسمي الأزقة فلها عدة محاور فهناك الزقاق الأول يؤدي تقريبا من باب فتوح إلي قنطرة بين المدينة ، وهو عبارة عن طريق عريض يكاد يكون مستقيما ، حتي جامع الأندلس وكان لهذا الطريق بديل يدعى محج الفخارين وجامع الأشياخ العتيق محاذي لبعض المعاصر ومعامل الفخار ، ثم يتحول إلى اليسار ويلتحق بالصفاح ودرب اللمطى باسم زنقة فندق العطاروهذا الطريق ممر للدواب . [4]

---

[1] عبدالوهاب الدبيش: مرجع سابق، ص ٤٣ .

[2] الاستبصار: مصدر سابق، ص٢١٥ ، ابن مرزوق : مصدر سابق ، ص ٤٢٩.

[3] وقد استخدم وادي سبو في سير القوارب والسفن الصغار الي البحر الأعظم وقد قام ابو الحسن في سنة ست وخمسين وسبعمائة ، بجلب ضريحة بيله من الرخام الأبيض وحملت علي عجل الخشب حتي ضفت نهر سبوالي أن وصلوا إلي ملقي وادي فاس ومنها الي مدرسة الضريح بعدوه الأندلسيين . مخطوط : رسالة في ذكر فاس ، ورقة ٤٨ ،٤٩ ، مجهول: خطط فاس، ورقة ١ ، الجزنائي: مصدر سابق ص ٣٧، ٣٨ .

[4] روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية ، ص٢١٠، ٢١٢ .

أما المحور الثاني للسير يصل باب فتوح بقنطرة الطرافين ، ويسير سريعا عبر مقبرة بـاب الحمراء ويغوص بالمدينة ، ويجتاز باب سيدى حنين القديم ثم يلتحق بالحدادين النخالين عن طريـق محج سيدى المغيث ، ومن ثم قنطرة الطرافين أما المحور الثالث يصل حى المخفية الخارجي بقنطـرة سيدى العواد عبر كزام ابن برقوقة وبعد اجتياز القنطرة يلتحق بالمحور لعدوه القـرويين ، ووجـدت إعداد من القنطرة بمدينة فاس منها ، قنطرة الطرافين ، وقنطرة سيدى العواد وقنطـرة كـزام ابـن برقوقة ودرب سيدى العواد والنخالين ، ومحج الخراشفين ، وكزام ابن زكون، وقنطرة الصباغين . [١]

اما عن وسائل النقل والمواصلات فى مدينة فاس فنجد أن التنقل داخل فاس تنظمه الشوارع، فهي كانت عريضة نسبيا والعربات لم تكن تعرف فى مدينة فاس ، ولا فى المغرب فكان القوم ينتقلون مشاة والأثرياء يمتطون البغال والدواب ، فاستخدم الدواب فى نقل البضائع . [٢]

وقد أورد الونشريسي نازلة تتعلق باستخدام البهائم في نقل السلع بالأسواق ، كمن باع جـزء من دابته لمن يحفظها ويشاركه فيها ، أو من يدفع دابته إلي أجير بنصف ما يكتسبه بها مـن الأجـر والربح ، فنظام المشاركة تناولها المعيار باستفاضة . [٣]

اما بالنسبة للطرق الخارجية ، فنجد طرق ربطت مدينة فاس بمدن المغرب الأقصى، وطرق بين فاس وكافة مدن بلاد المغرب ، وطرق ربطت بين فاس والسودان الغربى .

فبالنسبة للطرق التى ربطت بين فاس ومدن المغرب الأقصى فنجد طريقا من فاس الى سبتة ، وطريق آخر يربط فاس بمدينة سلا .[٤]

---

[١] روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية ، ص ٢١٥ .

[٢] روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ص ٤٦.

[٣] الونشريسى: مصدرسابق جـ٦ ، ص٢٠٣-٢٤٤

[٤] سلا: مدينة قديمة ، وهى موازية لوادى أبى الرقراق ولها شهرة كبيرة فى الجلد والأوانى النحاسية والحديدية ونـسج الزرابى، وكانت تحت سلطة المرينين وقد وقعت فى ايدى النصارى أربعة وعشرين يوما أيام الملك يعقوب بن عبدالحق المرينى ومعظم سكانها يعملون بالحياكة من القطن والكتان ، وتصنع كميات كبيرة من الأمشاط التى تصدر لمدينة فاس: للمزيد انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان ، جـ١٠، ص٢٣١ ، الوزان: مصدر سابق ، ص ٢١٣، ٢١٤ .

وفاس مكناسة [١] وفاس ــ وزان ــ العرائش ــ طنجة[٢] فاس-اغمات[٣] (مراكش) [٤] عبرتادلا[٥] .

وطرق أخرى تربط بين فاس ومدن المغرب ومنها فاس ــ وجده وتلمسان عبر مجموعة من المراكز أهمها رباط تازا . [٦]

وتربط فاس بالسودان الغربى عدة محاور فاس ــ أغمات (مراكش)ــ السوس الأقصى [٧] نول لمطة [٨] ومن فاس إلى سجلماسة ثم إلى السوس الأقصى ويمربعد ذلك الى مدينة نول لمطة ،

---

[١] مكناسة: احدى مدن المغرب الأقصى ، وتقع على مسافة اربعين ميلا الى الغرب من فاس واشتهرت بزراعة الزيتون فسميت مكناسة الزيتون والرمان للمزيد انظر الادريسى:.مصدرسابق ، ص٧٦ ــ٧٧، مجهول:الاستبصار، ص١٨٧ ، ابن الخطيب: مشاهدات ابن الخطيب ، ص ١٠٩.الجغرافيا الاسلامية : حول جغرافية وطوبوغرافية الاندلس،جمع وطبع فؤاد سزكين واخرين ، نشر معهد تاريخ العلوم العربية والاسلامية ، جامعة فرانكفورت ،المانيا ، ١٩٩٣ م /١٤١٤ هـ ، القسم الاول ، مج ١٥١ ، ص ٢٨٢ .

[٢] طنجة: مدينة كثيرة الفواكهة ، والبحر لديها اضيق ما يكون فهو ثمانية عشر ميلا . للمزيد انظر ابوالفداء : تقويم البلدان ، دارصادر، بيروت، د.ن ص١٣٢ .

[٣] اغمات: تقع على مسافة أربعة وعشرين ميلا من مراكش وتجرى بها عدد كبير من الأنهار وهى خصبة التربة ، وكثيرة الفواكه العنب والتين . للمزيد انظرالوزان : المصدرالسابق، ص ١٤٨ . الجغرافيا الاسلامية : مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

[٤] مراكش: مدينة كبيرة وتقع فى سهل واسع على مسافة اربعة عشر ميلا من الأطلس ، وهى تبعد عن الرباط بمسافة ٣٢٦ كم وبينها وبين فاس عشرة ايام واتخذها الموحدون عاصمة لهم ويكثر بها زراعة الزيتون. للمزيدانظرابن الخطيب: معيارالاختيارفى ذكرالمعاهدوالديار، تحقيق محمد شبانة، دار الثقافة، ص ١٦١ .

[٥] تادلا: مدينة بين جبال صنهاجة وتقع تادلا بين مراكش وبين فاس من الغرب الاقصى .للمزيد انظر ابو الفداء : مصدرسابق ، ص ١٣٥ .

[٦] تازا: مدينة كبيرة تعيش فى رخاء ، وبناها الافارقةعلى مسافة خمسة أميال من جبال أطلس وتقع على مسافة ثمانين ميلا من فاس ومائتين وخمسين ميلا من المحيط وخمسة وسبعين ميلا عن البحر المتوسط، ويزرع بهاالعنب وهى كثيرة اليهود . للمزيد انظر الوزان:المصدر السابق،٣٥٧-٣٥٨ .

[٧] السوس الاقصى: يطلق عليها تارودنت ونهرها يأتى من جبل لمطة ومن مدنها درعة ، ويكثر بها البساتين . للمزيد انظر ابن حوقل : مصدر سابق ، ص٩١ ، الادريسى : مصدر سابق ،ص ٢٢٧ ، ابو الفداء:مصدر سابق ص ١٣١

[٨] نول لمطة :هى اول الصحراء وبها نهر كبير ينزل من جبل لمطة ويصب فى المحيط ،ومن وادى السوس الى نول لمطة ثلاث مراحل .للمزيد انظر البكرى : مصدر سابق ،ص١٦١ ،١٦٢ ،ابو الفداء : نفس المصدر والصفحة.

ويتقاطع مع طرق أخري خصوصا الطريق الواصل بين سجلماسة والبحر المتوسط عبرمكناسة وفاس مراكش ونجد طريقا أخر يربط فاس بالمدن الأندلسية فاس و جنوة . [١]

ويعتبر الطريق المباشر فاس ــ سجلماسة مرورا بصفرو[٢] من أهم الطرق والذى عرف بطريق السلطان وطريق التمور، ومن سجلماسة كانت القوافل تواصل طريقها إلى السودان الغربى عبورا بمحطات تجارية صحراوية أودغشت وغانة . [٣]

لعبت سجلماسة دورا كبيرا فى تجارة مدينة فاس فكانت من أهم المحطات التجارية التى ربطت فاس بالتجارة الداخلية والخارجية .

وكانت البهائم تحمل البضائع منفردة في أحمال وغرائر ، يتم من خلالها نقل الملح ، حيث يتم تقطيعه ألواحا كألواح الرخام ويحمل علي الجمال . [٤]

وكان لازدهار المقومات البشرية والطبيعية وتوافرها عامل كبير علي قيام الأسواق داخل مدينة فاس وقام الحمالون بدور كبير في نقل السلع التجارية داخل أسواق مدينة فاس ، وكانت لهم نقابه تحظي بامتيازات خاصة ، وهم لايؤدون أية ضريبة ومن يحكم عليه بالإعدام من مجرميهم لا يعدم بحضور الجمهور . [٥]

وعمل عدد من المقاولين على تأجير دوابهم ، لنقل مختلف المتاجر كألواح من خشب الأرز أو الزيتون وأحمال الرمل والآجر الذي يستخدم في البناء وأكياس من القمح اوالصوف ، وكان عدد من الحمير يسير في قافلة واحدة خلف سائق تخترق شوارع المدينة أما البغال والخيل فكان لكل واحد منها

---

[١] الادريسى:مصدر سابق ،ص ٢٤٢ ، البكرى: مصدر سابق ، ص ٨٧ ، مجهول : الاستبصار، ص ١٨٦ ، الحميرى: مصدر سابق ،ص ١٢٧ ، ماجدة كريمى : العلاقات التجارية بين المغرب والسودان فى العصر المرينى، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط ١٩٨٧ – ١٩٨٨ ، ص ١٧٦ .

[٢] صفرو : بلدة فى المغرب ، وفيها من الفواكة الكثير ومنها يجلب الجوز الى مدينة فاس،للمزيد انظرالبكرى:مصدر سابق، ص ١٤٧ .

[٣] عبدالعزيز العلوى: فاس والتجارة الصحروية قبل الحملة السعدية على امبرطورية سنغاى ، ندوة فاس وافريقيا ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، فاس ١٩٩٣ ، ص ٥٨ .

[٤] الونشريسى: مصدرسابق جـ ٥ ، ص ١٣٦ ، ص ٢٦٢ .

[٥] إبراهيم حركات: الحياة الاقتصادية في العصرالمرينى ، ص ١٣٤.

سائق ومع حلول الليل والظلام يصعب التنقل داخل المدينة حيث كانت من أهم ما تتميز به المدينة هو أن كل حي من احيائها له باب يقفل بالليل فيصعب التنقل من حي الي حي أخر . [1]

من خلال عرضنا للمقومات الطبيعية من موقع جغرافي وبيئة زراعية ، والمواد الخام والمقومات البشرية من سكان وحرف وصناعات ومنشأت تجارية وطرق ومواصلات ، يتبين لنا ان مدينة فاس كانت مدينة تجارية قوية فى عصر من أزهى عصور المغرب وهوالعصر المرينى أسهمت هذه المقومات فى جعل أسواق فاس فى العصر المرينى من أفضل أسواق المغرب.

[1] روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين ص٤٧ – ٨٢.

obeikandl.com